

مركز الشيخ المفيد
لرعاية مشاريع التعليم

"١"

العقائد

الفهرس

الدرس الأول:

ما هو الدّين؟

أهداف الدرس:

1. أن يتعرف الطالب إلى مفهوم الدين.
2. أن يميز بين أنواع الرؤى الكونية.
3. أن يتعرف إلى أصول الأديان السماوية.
4. أن يميّز بين أصول الدين وأصول المذهب.

مفهوم الدّين

كلمة الدّين في اللّغة [١]: بمعنى الطّاعة كما في قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[٢].

وتأتي بمعنى الجزاء [٣]كما في قوله تعالى:﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤].وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [٥].أي يوم الجزاء.[٦]

وفي الاصطلاح معناها: الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالأحكام والوظائف العمليّة الملائمة لهذا الإيمان.

ويتكوّن الدّين بالمعنى الاصطلاحي من ركنين:

1. العقيدة الّتي تمثّل الأساس والقاعدة بالنّسبة للدّين وتسمّى (أصول الدين).
2. التّعاليم والأحكام العمليّة المنبثقة من الأسس العقائديّة والملائمة لها وتسمّى (فروع الدّين).

الرؤيّة الكونيّة والأيديولوجية

إنّ ألفاظ الرّؤية الكونيّة والأيديولوجيّة استعملت في معان متقاربة،

ومن معاني الرّؤية الكونيّة أنّها: عبارة عن «مجموعة من المعتقدات والنظريّات الكونيّة المتناسقة

(١)- راجع كتب اللّغة، مثل: تاج العروس، مادّة: دين..

(٢)- ٧٦/ يوسف.

(٣)- تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢٠، ص ٣٦٨

(٤)- ٤/ الفاتحة.

(٥)- ١/ الماعون.

(٦)- تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢٠، ص ٣٦٨

حول الكون والإنسان بل وحول الوجود بصورة عامّة»،

ومن معاني الأيديولوجية أنّها: عبارة عن«مجموعة من الآراء الكليّة المتناسقة حول سلوك الإنسان وأفعاله».

وعلى ضوء هذين المعنيين يمكن أنْ يعتبر النّظام العقائديّ لكلّ دين هو رؤيته الشّاملة، ونظام أحكامه العمليّة الكليّة أيديولوجيّته، ويتمثّلان في أصول الدّين وفروعه.

وقد تستعمل كلمة الأيديولوجية أحياناً في معنى عامّ بحيث يشمل الرّؤية الكونيّة والأحكام العمليّة معاً.

الرّؤية الكونيّة الإلهيّة والمادّيّة

تنتشر بين النّاس الكثير من أنواع الرّؤى الكونيّة، ولكن يمكن تقسيمها جميعاً على أساس الإيمان **بالغيب وإنكاره إلى قسمين جامعين:** الرّؤية الكونيّة الإلهيّة، والرّؤية الكونيّة المادّيّة.

وقد أطلق على مَن يتبنّى الرّؤية الكونيّة المادّيّة في العصور السّابقة اسم "الطّبيعيّ" و"الدّهريّ" وأحياناً "الزّنديق" و"المُلحِد"، وأمّا في عصرنا فيطلق عليه "المادّي».

الأديان السّماويّة وأصولها

بحسب المستفاد من المصادر الإسلاميّة فإنّ الدّين قد لازَمَ وجود الإنسان على الأرض، فكان الإنسان الأوّل وهو آدم عليه السلام نبيّاً وداعياً للتّوحيد، وأمّا سبب ظهور الشِّرك وتطرّق البدع إلى الأديان فهو الجهل واتّباع الأهواء والمطامع.

وتشترك الأديان التّوحيديّة في ثلاثة أصول كليّة:

1. الإيمان بالله الواحد.
2. الإيمان بالحياة الأبديّة في عالم الآخرة، ونيل الجزاء على العمل إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.
3. الإيمان ببعثة الأنبياء والرّسل المبعوثين من الله تعالى لهداية البشريّة إلى مصدر سعادتها في الدّنيا والآخرة.

وهذه الأصول الثلاثة تمثّل إجابات حاسمة على الأسئلة الرّئيسة الّتي يواجهها كلّ إنسان في صميم **ذاته وفطرته:** من هو خالق الوجود والإنسان؟ ما هي نهاية الحياة ومصير البشر؟ ما هو السّبيل لمعرفة النّظام الأفضل للحياة؟

وعليه يعتبر الإيمان بوجود الله الواحد «الأصل الأوّل» من أصول الدّين الإسلاميّ، والإيمان بنبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم «الأصل الثّاني»، والإيمان بالمعاد والحياة بعد الموت «الأصل الثّالث».

أصول الدّين وأصول المذهب:

تقدّم أنّ أصول الإسلام الأساس ثلاثة: التّوحيد، نبوّة النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، المعاد.

وهذه الأصول الثلاثة تسمّى أصول الدّين، ويخرج المنكر لأيّ واحد منها من ملّة المسلمين.

وهناك معتقدات أخرى نشأت من تحليل هذه المعتقدات وتجزئتها، أو أنّها من لواحقها، يمكن أن نعتبرها من العقائد الأصليّة أيضاً ولكن وفق اصطلاح خاصّ، فمثلاً يمكن أن نعتبر الإيمان بوجود الله والإيمان بتوحيده والإيمان بنبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم من أصول الدّين الإسلاميّ، كما يمكن اعتبار العدل- وهو من المعتقدات المتفرّعة من التّوحيد- أصلاً مستقلّاً، والإمامة - وهي من لواحق النّبوّة - أصلاً آخر - كما فعل علماء الشيعة-.

وفي الواقع فإنّ استعمال كلمة "الأصل" في مثل هذه المعتقدات خاضع للاعتبار والاصطلاح.

ويمكن أن نطلق "أصول الدّين" على العقائد المشتركة بين جميع الأديان السّماويّة دون تخصيصه بدين معيّن، أمثال الأصول الثّلاثة (التّوحيد، النّبوّة العامّة، المعاد)، أمّا لو أضفنا إليها بعض الأصول الأخرى المختصّة بدين ما فنطلق عليها "أصول الدّين الخاصّ" كالإسلاميّ مثلاً، وكذلك إذا أضفنا إليها بعض المعتقدات المختصّة بمذهب معيّن أو فرقة معيّنة نطلق عليها "أصول الدّين والمذهب».

خلاصة الدّرس

- **الدِّين لغة** بمعنى الطاعة والانقياد،

واصطلاحاً: الإيمان بالخالق وبالأحكام والوظائف العمليّة الملائمة لهذا الإيمان.

* **الرؤية الكونيّة هي:** مجموعة من المعتقدات والنظريّات حول الوجود بشكل عام.

* **الأيديولوجية هي:** مجموعة آراء كليّة متناسقة حول سلوك الإنسان. وقد تستعمل في معنى الرؤية الكونيّة.

ثمّ إنّ هناك رؤيتين كونيتين إلهيّة ومادّية.

- أصول الأديان السماويّة:

1. الإيمان بالله الواحد.
2. الإيمان بالنبوّة.
3. الإيمان بالآخرة.

- أصول الإسلام ثلاثة: التوحيد والنبوّة والمعاد، وإذا أُضيف إلى هذه الثلاثة أصول أخرى يُطلق عليها أصول المذهب، كالعدالة والإمامة.

أسئلة حول الدّرس

1. ماذا تعني كلمة الدّين في اللغة، والاصطلاح؟
2. ما هو معنى الرّؤية الكونيّة، والأيديولوجيّة؟
3. ما هي أصول الأديان السماويّة؟
4. ما هو الفرق بين أصول الدّين، وأصول المذهب؟



الدرس الثاني:

البحث عن الدّين

أهداف الدرس:

.1أن يتعرف الطالب إلى الدوافع العامة للبحث عن الدين.

.2أن يدرك غريزة حب الاستطلاع.

.3أن يدرك غريزة حب الكمال.

تمهيد

إنّ كلّ إنسان عاقل لا يقدم على عمل إلّا لغاية تشكّل الدّافع والمحرّك له باتجاه الفعل- وهذا إدراك وجدانيّ- فعندما يسعى الإنسان مثلاً لتحصيل الطّعام فدافعه الجوع فعلاً أو توقُّع حصوله، وقد أودع الله تعالى في الإنسان جملة من الدّوافع الفطريّة- نفسيّة وقلبيّة كانت أو عقليّة- تشكّل الأساس لحركته في الحياة الدنيا، وهنا يأتي سؤال وهو:

ما هي الدّوافع الكامنة في الإنسان والّتي يجب أن تحرّكه للبحث عن الدّين أي للبحث عن وجود الله وما يتعلّق به وما يترتّب عليه من أسئلة أخرى، ينبغي السّعي لتحصيل الإجابة عليها.

والجواب: إنّ الله تعالى قد أودع في داخل الإنسان جملة من الدّوافع العامّة، الّتي تدفعه للبحث عن مجموعة مهمّة من المسائل بما فيها البحث عن الدّين.

الدّوافع العامّة

الأوّل: غريزة حبّ الاستطلاع

من الخصائص النفسيّة الإنسانيّة، هي وجود دافع فطريّ لديه لمعرفة الحقائق والاطّلاع على الواقعيّات، وهو المعبّر عنه "بحبّ الاستطلاع" الّذي يدفع الإنسان للتفكير والتأمُّل وطرح التّساؤلات، في محاولةٍ للبحث عن الحقائق بما فيها الدّين الحقّ.

ومن هذه التّساؤلات:

هل هناك وجود لموجود غير محسوس وغيبي غير مادّيّ؟ وإذا كان له وجود فهل هناك علاقة بين عالم الغيب والعالم المادّيّ المحسوس؟ وإذا كانت هناك علاقة، فهل هناك موجود غير محسوس خالق للعالم المادّيّ؟

وهل ينحصر وجود الإنسان بهذا البدن المادّيّ؟ وهل تتحدّد حياته بهذه الحياة الدّنيويّة؟ أم أنّ هناك حياة أخرى؟ وإذا كانت هناك حياة أخرى، فهل هناك علاقة وارتباط بين الحياة الدّنيا والحياة الآخرة؟ وإذا وجدت العلاقة، فما هي الظّواهر الدّنيويّة الّتي لها تأثير في الأمور الأخرويّة؟ وما هو السّبيل لمعرفة النّظام الأكمل للحياة، النّظام الّذي يكفل سعادة الإنسان في الدّنيا والآخرة؟ وما هي طبيعة هذا النّظام؟

إذن فغريزة حبّ الاستطلاع تمثّل الدّافع الأوّل الّذي يدفع الإنسان للبحث عن إجابات لهذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة المرتبطة بالمسائل والمعارف الدينية الأساسية الحقّة.

الثّاني: غريزة جلب المنفعة والأمن من الضّرر

أنّ إرضاء الحاجات الطّبيعيّة للإنسان وإشباع الدّوافع الفطريّة لديه لا يتحقّق إلّا من خلال الإلمام ببعض المعارف الخاصّة، الّتي تجلب له النّفع وتدفع عنه الضّرر. فإذا أمكن للمعارف الدينية خاصّة أن تساعد الإنسان على إشباع حاجاته، وتوفير المنافع الّتي ينشدها، والأمن من المضارّ والأخطار الّتي تتهدّده، فسيكون الدّين من المجالات الّتي ينشدها الإنسان بفطرته، وبذلك تكون غريزة البحث عن المنفعة والأمن من الضّرر والخطر دافعاً آخر للبحث عن الدّين، خاصّة بعدما سمع بوجود أشخاص يدعون إلى الله وما يترتّب عليه من منافع وسعادة أبديّة، وضرر عظيم وعقاب دائم على فرض ترك البحث عن الله تعالى، والوقوع في مخالفة أوامره ونواهيه، حتّى مع الجهل بها لتقصيره وإهماله لهذا الأمر الخطير.

شبهة وجوابها

قد يدّعي بعض الناس أنّ الدّافع للبحث عن شيء ما إنّما يكون محرّكاً وفاعلاً فيما إذا كان احتمال الوصول إلى نتيجة قويّاً وعالياً، وبما وأنّ احتمال الوصول إلى نتيجة في البحث عن الديّن ضعيف جدّاً، فلا يكون مثل هذا الاحتمال محرّكاً، بل لا يُعبأ به ولا يُلتفت إليه عند العقلاء، وعليه فمن الأفضل بذل الجهد في البحث عن مسائل تكون درجة الاحتمال فيها قويّة ومؤثّرة، كما هو الحال في المسائل العلميّة المعتمدة على التّجربة.

والجواب: يقع من جهتين:

أوّلاً: إنّ الأمل في معالجة المسائل الدّينيّة واحتمالها ليس ضعيفاً كما تُوهّم، بل إنّ الأمل فيها ليس بأقلّ من المسائل التّجريبيّة، خاصّة وإنّ بعض المسائل العلميّة التجريبيّة تحتاج إلى سنوات من الجهود المضنية، مع أنّ احتمال الوصول إلى نتيجة فيها ضعيف جدّاً، ومع ذلك تُبذل الجهود دون تردّد ولا ملل، وهذا يفتح الباب للجهة الثّانية من الجواب.

ثانياً: أنّ الدّافع والمحرّك للبحث عن أيّ شيء لا يعتمد فقط على درجة الاحتمال قوّةً وضعفاً، بل لا بدّ من مراعاة درجة المحتمل أيضاً، وذلك، لأنّ المحتمَل يُزوِّد الاحتمال بقوّة دفعٍ وتحريكٍ باتّجاه البحث، وهذا ما تجده في كثير من المسائل والقضايا، فلو احتملت قويّاً لدرجة ٨٠٪ مثلاً أنّك أضعت مبلغاً بسيطاً من المال لا يعتدّ به أثناء سيرك ليلاً، فإنّك لن تبحث عنه، وما ذلك إلّا لضعف المحتمل مع أنّ الاحتمال كان قويّاً وكبيراً، بخلاف ما لو احتملت ٢٠٪ أنّك فقدت مبلغاً كبيراً من المال أثناء سيرك ليلاً، ففي مثل هذه الحال ستجد في نفسك دافعاً قويّاً للبحث عنه وستبدأ بالبحث مباشرة، وما ذلك إلّا لأنّ المحتمَل كان قويّاً وكبيراً مهما كانت درجة الاحتمال ضعيفة وبسيطة.

والمحصَّل: أنّ لكلٍّ من الاحتمال والمحتمل دوره في التحريك والدفع نحو البحث، وقصر النظر على قيمة الاحتمال فقط مخالف للعقل والعقلاء.

وبما أنّ المنفعة المحتملة المترتّبة على البحث عن الدّين لا حدّ لها وهي كبيرة وقويّة جدّاً، بحيث تكفي لدفع الإنسان وتحريكه للبحث عنها، فيجب على العاقل في مثل هذه الحال أنْ يبحث عن مسائل الدّين ويبذل الجهد في سبيل تحصيلها، لأهمّيَّتها الّتي تفوق بدرجات قيمة المحتَمل في أيٍّ مسألة علميّة تجريبيّة.

هذا كلّه لو سلّمنا أنّ درجة الاحتمال ضعيفة، فكيف والحال أنّ هذا الاحتمال قويّ أيضاً.

الثّالث: لزوم شكر المنعم

وهذا الدّافع هو من الدّوافع العقليّة الفطريّة، حيث إنّ النِّعم الّتي تواكب الحياة الإنسانيّة كلّها والّتي لا يسع أحداً إنكارها هي من الكثرة بحيث لا تبلغ حدّ الإحصاء، ومن جانب آخر فإنّ العقل الفطريّ يحكم بلزوم شكر المنعم على نعمه ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[1]، ولا يتحقّق شكر المنعم الحقيقيّ - وهو الله تعالى - إلّا بمعرفته، ولا تتحقّق المعرفة إلّا بالبحث عنه والاستدلال على وجوده

(١)- ٦٠/ الرحمن.



تعالى وعليه يجب البحث عن الدّين، لأنّه مقدّمة للشُّكر الواجب ومقدّمة الواجب واجبة بحكم العقل.

الرابع: غريزة حبّ الكمال

من جملة المسائل الّتي ينبغي أن تشكّل حافزاً ودافعاً للإنسان للبحث عن المبدأ وما يرتبط به من صفات وأفعال، هو ما فُطرت عليه النفس الإنسانيّة، وهو حبّ الكمال، " فإنّ الإنسان موجود باحث عن الكمال بفطرته"، ولكي لا ينحرف هذا الدافع عن مساره الصحيح، كان لا بدّ من معرفة "أنّ الكمال الإنسانيّ لا يتحقّق إلّا من خلال اختيار الإنسان لأفعاله"، هذا الاختيار المعتمد على حُكم العقل وتوجيهاته، لأنّ الكمالات المختصّة بالإنسان هي الّتي تتمثّل بكمالاته الروحيّة، والّتي يتوصّل إليها من خلال الإرادة الواعية، والاختيار المنبثق من حكم العقل.

إلّا أنّ العقل عاجز عن تقييم الأفعال وتقويمها ما لم يتوصّل إلى نظام خلقي وقيمي. تُحاكم الأفعال على أساسه، وهذا لا يتحقّق إلّا برؤية صحيحة للكون والحياة وعلاج مسائلها ومواضيعها "فمعرفة الله وصفاته وأفعاله هي الأساس لتقييم الأفعال والحكم عليها من قبل العقل».

وعليه لا يتمكّن الإنسان من تحقيق كماله المنشود إذا لم يعالج هذه المسائل ويجيب على تلك الأسئلة.

الخامس: فطريّة الشّعور الدّيني

إنّ بعض علماء النفس يرون أنّ التديّن وعبادة الله ظاهرة ثابتة - بشكل من الأشكال- في كلّ الأجيال البشريّة على امتداد التّاريخ، وهذا الثّبات الدّائم لهذه الظاهرة دليل على فطريّتها، ولقد صرّح القرآن الكريم بهذا الدّافع بقوله تعالى: ﴿ فِطۡرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيۡهَا لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الۡقَيِّمُ ..﴾[١].

تنبيه: حول شمولية الدافع الفطري

إنّه لا يلزم من القول بشموليّة الدّافع الفطريّ أن يوجد دائماً بشكل حيّ ويقظ في جميع الأفراد، بحيث يدفع الإنسان بطريقة شعوريّة وواعيّة لأهدافه المنشودة، بل من الممكن أنْ يختفي هذا الشّعور الفطريّ في أعماق الفرد نتيجة العوامل المحيطة والتّربية غير السّليمة، كما قد تنحرف الميول والغرائز عن مسارها الطبيعي للسّبب نفسه.

---

(١)- ٣٠/ الروم.



وعلى ضوء ذلك فإنّ للبحث عن الدّين دافعه الفطريّ المستقلّ ولا نحتاج لإثبات ضرورته إلى دليل.

خلاصة الدّرس

- **هناك دوافع فطريّة عامّة تدفع للبحث عن الدِّين.**

وهذه الدوافع هي:

1. **غريزة حبّ الاستطلاع:** هو دافع فطريّ يدفع الإنسان لمعرفة الحقائق مطلقاً ومن ضمنها الدِّين.
2. **غريزة البحث عن المنفعة والأمن من الضرر:** فحيث إنّ هناك منافع ومضار دنيويّة وأخرويّة تترتّب على معرفة الدِّين وعدمها فيجب إذن البحث عن الدِّين لجلب المنفعة ودرأ المضرّة.

- **وقد اعتُرض على الغريزة السابقة،** بأنّ الدافع للبحث عن شيء إنّما يكون محرّكاً إذا كان احتمال الوصول إلى نتيجة قويّاً، وحيث إنّ احتمال الوصول إلى نتيجة في البحث عن الدّين ضعيف، فليس لهذا الدافع فاعليّة.

والجواب: بعد التسليم بكون احتمال الوصول إلى نتيجة في البحث عن الدِّين ضعيفاً- وهو ليس كذلك -، إنّ التحريك لا يتوقّف على قوّة الاحتمال فقط، بل يحصل أيضاً بسبب قوّة المحتمل، فحيث إنّ مسائل الدِّين كبيرة المضرّة لو تركت وكثيرة المنفعة لو حصلت دنيا وآخرة- جنّة أو نار- فالدافع موجود للبحث عن الدِّين.

3. **وجوب شكر المنعِم:** ولا يتحقّق الشكر إلّا بمعرفة المنعِم، وحيث إنّ الدِّين يُعرِّفنا بالمنعِم، فيجب البحث عن الدِّين.
4. **حبّ الكمال:** وبما أنّ الدِّين هو الّذي يُعطي الأساس النظري الصحيح للعقل؛ ليتمكّن من الاختيار الصحيح وبالتالي الوصول إلى الكمال، ثبت إذن ضرورة البحث عن الدِّين.
5. **فطريّة الشعور الديني:** وهو لا يشترط أن يكون حيّاً ويقظاً في جميع الأفراد، بل قد يختفي لعوامل مؤثّرة على الفرد.

أسئلة حول الدرس

1. ما هو المقصود من غريزة (حبّ الاستطلاع)؟
2. كيف تجيب من يدّعي أن غريزة (البحث عن المنافع والأمن من المضارّ) غير كافية لتدفع الإنسان للبحث عن الدّين؟
3. كيف نستدلّ على لزوم البحث عن الدّين من قاعدة (وجوب شكر المنعم)؟
4. ما هو المقصود من فطرية الشعور الديني، ولماذا لا يكون مؤثّراً دائماً؟
5. ما هو المقصود من غريزه(حبّ الكمال)؟

الدرس الثالث:

ما هو دليل النظام على وجود اللّٰه تعالى الدّين؟

أهداف الدرس:

1. أن يتذكر الطالب دليل النظام على وجود الله مع مقدماته.

2. أن يستذكر آية ورواية على دليل النظام.

تمهيد:

لقد أودع الله في الكون والإنسان من الأدلّة على وجوده تعالى ما لا يحصيه عدد، فالأدلّة على وجوده تعالى بعدد أنفاس الخلائق - كما قيل - والعقل البشري قادر على الاستدلال على الله تعالى وصفاته، والكثير من المسائل العقائديّة الأخرى إذا لم تؤثّر عليه الأهواء وتحيط به الشّبهات، وقد تعدّدت الأدلّة وتنوّعت، ومع ذلك يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأوّل: مجموعة أدلّة تعتمد على التأمّل في الكون والإنسان وما يكمن فيهما من الآثار والآيات الإلهيّة، وترتكز هذه الأدلّة على مقدّمات حسّيّة، ويقع على رأسها دليل النّظام.

الثّاني: مجموعة أدلّة تعتمد بشكل أساس على مقدّمات عقليّة محضة منها الدليل المعروف بـ (دليل الإمكان)

دليل النّظام

وهو من الأدّلة السّهلة الّتي يدركها كلّ إنسان عاقل، لأنّه يرتكز على مقدّمتين يسهل إثباتهما، إحداها حسّيّة تجريبيّة وهي "إنّ هذا العالم منظَّم" وثانيتها عقليَّة بديهيَّة وهي "إنّ كلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم».

والنّتيجة هي "إنّ هذا العالم يحتاج إلى منظِّم وليس وليد الصدفة العمياء".

هذا هو دليل النّظام على الإجمال، وتفصيله يحتاج إلى:

أ- معرفة المقصود من النّظام،

ب- وتوضيح المقدّمات وإثباتها.

أ- المقصود من النّظام



النّظام هو عبارة عن التناسق الموجود بين أجزاء المركَّب الواحد- كأجزاء الشجرة الواحدة - والتوازن الحاصل بين الموجودات- كالتوازن بين أنواع الحيوان والإنسان والنبات والهواء- إلخ - بشكل يتحقّق منه الغرض والغاية من وجودها وعلى أكمل وجه.

ب- مقدّمات دليل النظام

1. **إن هذا العالم منظم:** ويمكن إثباتها من خلال تأمّل الإنسان العاقل في هذا الوجود، بالمشاهدة الحسّيّة تارة، وبفضل ما وصلت إليه العلوم الطّبيعيّة تارة أخرى، فإنّ الإنسان- وبأدنى تأمّل- سيجد نظاماً يتحكّم في كلّ موجود على حدة، ونظاماً عامّاً يربط بين الموجودات كلّها بحيث تؤدّي دورها على أكمل وجه، ويتحقّق الهدف المنشود من وجودها.

فالمنظومة الشّمسيَّة بما تحويه من شمس وقمر وكواكب، عجيبة في تكوينها، دقيقة في حركاتها المنتظمة، وما يترتّب عليها، من مصالح وما يحدث بسببها من أحوال لازمة لها، كاللّيل والنّهار، والفصول الأربعة وما يترتّب على هذا الانتظام من فوائد.

وكذلك عالم النبات وهو عالم عجيب في تركيبه وأسراره وفوائده، الّتي اكتشف العلم حتّى الآن جزءً بسيطاً منها، وما خفي أعظم.

وأمّا الإنسان، فإنّه من أعجب وأعظم المخلوقات، فهو يحوي ما تفرّق في المخلوقات، وأضيف إليه أجهزة معقّدَة أخرى ولكنّها منظّمة بكيفيّة مثيرة للدّهشة، لما فيه من عجائب وأسرار وأنظمة. ومع أنّ الإنسان وضع تحت مجهر البحث المركّز في كلّ جوانب وجوده، إلّا أنّهم لم يتوصّلوا إلى الكثير من خصائصه. فمن عالم الخلايا، والجهاز الهضميّ والتّنفّسي والدّورة الدمويّة والقلب وغيرها الكثير من الأجهزة، ويبقى المخّ من أكثر أجهزة الإنسان تعقيداً، وله مركز القيادة وأوامره الّتي تحملها الأعصاب إلى أعضاء البدن... إلخ، فالشّواهد التّي تثبت النّظام في الكون من أوضح الواضحات.

2. **إنّ كلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم:** وهذه المقدّمة عقليّة بديهيّة، يدركها الإنسان بمجرّد الالتفات إليها، ومن دون حاجة إلى دليل، فإنّ العقل إذا أدرك النّظام وما هو عليه من دقّة وروعة في التّقدير والتّوازن والانسجام، يحكم مباشرة بأنّ هكذا موجود يمتنع وجوده بدون فاعل عالم وقادر، هو الّذي أوجده ونظّمه، وينفي العقل إمكانيّة وجود هكذا نظام عن طريق الصّدفة، فالعقل الّذي يرفض إمكانيّة صدور مقالة بسيطة من إنسان أميّ لمجرّد أنّه ضغط عشوائيّاً على

أحرف الآلة الكاتبة، فهو يرفض قطعاً وبشكل أوضح وجود هذا الكون والنّظام صدفة من دون خالق، وهذا الحكم يعتمد على قانون العلّيّة الثّابت بحكم العقل البديهي. فالعقل يحكم بالبداهة أنّ كلّ معلول يحتاج إلى علّة، ويستحيل وجوده دون علّة.

وبذلك تظهر النّتيجة بشكل جليّ،

فالعالم منظَّم بحسب المشاهدات والعلوم،

وكلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم بحسب البداهة العقليّة،

إذن فالعالم يحتاج إلى خالق منظِّم ويستحيل أن يكون وليد الصدفة العمياء، وهو المطلوب.

فوائد دليل النّظام

من أهمّ الفوائد الّتي يعطيها هذا الدّليل

أوّلاً: إنّه يحرّك الفطرة الإنسانيّة ليرتقي بها إلى مرتبة الوعي والالتفات بعد النسيان والغفلة.

ثانياً: إنّه لا تقتصر وظيفته على إثبات وجود الخالق فحسب بل تتعدّاه لإثبات بعض صفاته ومنها أنّه عالم، قادر، إذ أنّ النّظام الهادف يجب أن يكون موجدُه، عالماً، وتحقُّق النّظام خارجاً دليل القدرة، لأنّ خصائص الفعل تدلّ على خصائص الفاعل.

النّظام في الكتاب والسنّة

يزخر القرآن بالآيات الكريمة الّتي تلفت الأنظار إلى ما في الكون من أنظمة بديعة، نذكر منها الآيات التالية:

1. ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1].
2. ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان من سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[2].
3. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إلى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا

(١)- ٢٣/ الملك.

(٢)- ١٢، ١٣/ المؤمنون.

يُبۡصِرُونَ﴾[1].

وفي كلمات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إشارات واضحة إلى هذا الدّليل كقوله عليه السلام: «ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرَجَعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة، والبصائر مدخولة»[2].

وقد أملى الإمام الصّادق عليه السلام على تلميذه المفضَّل، عدداً من الأنظمة وما فيها من أسرار وحكم وعجائب، من أجهزة الإنسان والحيوانات الأخرى، والطيور والحشرات، والفلك وما يحصل من تغيّرات، والنباتات وأسرار اختلافها، والأمراض وأدويتها، ثمّ الموت والفناء[3].

خلاصة الدرس

إنّ العقل قادر على الاستدلال على وجود الله تعالى، وقد تعدّدت الأدلّة وتنوّعت، وهي على نحوين:

الأوّل: مجموعة تعتمد على التأمّل في الكون والإنسان، وترتكز هذه الأدلّة على مقدّمات حسّيّة، ويقع على رأسها دليل النظام.

الثاني: مجموعة أدلّة تعتمد بشكل أساس على مقدّمات عقليّة كدليل الإمكان.

- يتكوّن دليل النظام من مقدّمتين:

الأولى: حسّيّة تجريبيّة وهي: (إنّ هذا العالم منظَّم)

الثانية: عقليّة بديهيّة وهي: (إنّ كلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم)

النتيجة هي: (إنّ هذا العالم يحتاج إلى منظِّم)

- يمكن إثبات المقدّمة الأولى من دليل النظام بالمشاهدة الحسّيّة، وبفضل ما وصلت إليه العلوم الطبيعيّة. ففي الكون أمثلة لا تُعدّ ولا تُحصى على النظام.

- المقدّمة الثانية من دليل النظام مقدّمة عقليّة بديهيّة، يُدركها الإنسان بمجرّد الالتفات إليها،

---

(١)- ٢٧/ السجدة.

(٢)- نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده، ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٣)- كتاب التوحيد، المفضّل، ص٣٧-٣٨.

فالعقل يحكم بالبداهة أنّ كلّ معلول يحتاج إلى علّة، ويستحيل وجوده من دون علّة.

* **المقصود من النظام:** هو عبارة عن التناسق الموجود بين أجزاء العالَم والتوازن الحاصل بين الموجودات بشكل يتحقّق منه الغرض والغاية من وجودها على أكمل وجه.

من أهمّ وظائف دليل النظام:

أوّلاً: إنّه يُحرِّك الفطرة الإنسانيّة.

ثانياً: بالإضافة إلى إثباته وجود الخالق يُثبت بعض صفاته ومنها أنّه عالم قادر.

* في القرآن الكريم والروايات الكثير مما يُلفت الأنظار إلى ما في الكون من نظام، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: "ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق».

أسئلة حول الدرس

١- ما هو معنى النّظام المقصود في الدليل؟

٢- تحدّث باختصار عن مقدّمات دليل النظام.

٣- بيّن أهم وظائف دليل النظام؟

٤- أذكر آية ورواية تشيران إلى دليل النظام؟

(١)- ٢٣/ الملك

الدرس الرابع

العــدل

العدل يعتبر ثاني أصل من الأصول الكبرى للدين والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا اعتبر العلماء العدل من أصول الدين الخمسة وهو من صفات الله تعالى من دون صفات الله الأخرى كالخلق والعالم والقادر والرحمن و...؟

للإجابة على ذلك لا بد ملاحظة ما يلي:

1. أن للعدل أهميّة خاصة، وإن أحد أهم أدلة وجوب المعاد يقوم على أساس ثبوت العدل لله تعالى.

2. وقد وقع اختلاف بين المسلمين في موضوع العدل الإلهي فالأشاعرة يخالفون المعتزلة والإمامية.

ونتيجة لهذين السببين وغيرهما من الأسباب تم التركيز على أصل العدل والتأكيد على لزوم الاعتقاد به وجعله من الأصول الكبرى للدين، وقد عرف الإمامية بـ(العدلية) ، لتميُّزهم في التركيز على هذا الأصل ودورهم الكبير في إزاحة الشبهات والباطل الذي نسبه البعض للذات الإلهية المقدسة من خلال تجويز بعض وجوه الظلم على الله سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

الحسن والقبح العقليين:

يعتقد الأشاعرة أنه لا حكم للعقل في حسن الأفعال (الأشياء) وقبحها، وأن العقل لا يدرك أن الظلم قبيح مثلا!! وإنّما الشرع هو الذي يحكم بقبح الأشياء وحسنها، ولذلك قالوا: لا حَسَن إلا ما حسّنه الشرع ولا قبيح إلا ما قبّحه الشرع. وبناء على كلامهم فيجوز على الله سبحانه أن يفعل القبيح بنظر العقل، فمثلا يجوز أن يلقي المؤمن المطيع في النار!!

وهذا الكلام باطل بالبداهة، فكل عاقل يدرك بعقله وبكل وضوح أن العدل والصدق والرحمة والإحسان و... كلها أفعال حسنة بذاتها بغض النظر عن أي ملابسات أخرى تضاف إليها، فالعقل يدرك ذلك بذاته سواءً أقال له الشرع ذلك أو لم يقل، وكذلك يدرك العقل بالبداهة ومن دون تردد أن الظلم والكذب والإساءة إلى الآخرين بغير ذنب ووالخ، كلها أفعال قبيحة بذاتها بغض النظر عن أي ملابسات أخرى تضاف إليها، سواء أقال الشرع ذلك أو لم يقل. وعلى هذا الأساس يحكم العقل بقبح مجموعة من الأشياء، وبحسن مجموعة أخرى، ولذلك فإن مسألة الحكم بـ (الحسن والقبح) هي مسألة عقلية ثابتة بحكم العقل، وقد جاء الشرع المقدس منسجما تمام الانسجام مع العقل، بل قد ورد في بعض الروايات أن العقل هو رسول الله الباطن، والمراد به العقل الفطري السليم.

ومن خلال الإيمان بالحسن والقبح العقليين يكتشف العقل تناسب فعل ما مع الصفات الكمالية الإلهية وعدم تناسب فعل آخر معها وعلى هذا الأساس يرى استحالة صدور الأفعال القبيحة من الله تعالى، ويحكم العقل بأن الله العادل سبحانه وتعالى حتما سيدخل المؤمن المطيع الجنة ويستحيل أن يدخله النار فذلك ظلم شنيع لا يصدر من العادل.

مفهوم العدل:

العدل في اللغة: بمعنى السوية والتسوية.

والعدل اصطلاحاً: هو إعطاء كل ذي حقٍ حقه.

- فلا يلازم العدل التسوية بين البشر جميعاً أو بين الأشياء كلها
- فليس المعلم العادل هو الذي يعطي جميع الطلبة المجتهدين والكسإلى نفس الدرجة
- وليس القاضي العادل هو الذي يقسّم المال المتنازع عليه بين المتخاصمين بالتساوي -بالنصف-
- وإنما المعلم العادل الذي يعطي الطالب المجتهد الدرجة التي يستحقها والكسول الدرجة التي يستحقها
- والقاضي العادل هو الذي يوصل المال إلى صاحبه.

الدليل على العدل الإلهي:

هناك أدلة عدة على العدل الإلهي - ذكرنا واحداً منها في المقرر السابق - ونذكر هنا أيضاً دليلاً واحداً:

العدل كمال والظلم نقص.

إن العقل يدرك أن العدل كمال لكل أحد والظلم نقص لكل أحد والله سبحانه وتعالى لا يرتكب ما هو خلاف الكمال ولا يقوم بما يجر النقص إليه، فهو عادل وليس بظالم.

وبعبارة أخرى أن صفات الله الذاتية تقتضي أن تكون أفعاله حكيمة وعادله وليس لله تعالى أية صفة تقتضي الظلم والجور أو اللغو والعبث.

تكليف العبد بما يطاق:

فعدل الله في مجال التكليف هو أن يكلّف الله العبد بما يطيق وما يقدر عليه لأنه لو كلفه بما لا يطيق ولا يقدر عليه فإن هذا التكليف بما لا تتحمله طاقة العبد فهو ظلم، فمثل ذلك كما لو وضعت على كتف طفل صغير ألف طن من الحديد. قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ...﴾[1]

لا ظلم في جزاء الله:

وعدل الله في مجال تنفيذ المجازاة ثواباً وعقاباً. فالله تعالى يجازي العبد ثواباً أو عقاباً بما يتلاءم وأفعاله. قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

الخلاصة:

- العدل يعتبر ثاني أصل من أصول الدين
- وهو من الأمور التي يدرك العقل حسنه بذاته
- والله سبحانه وتعالى تقتضي صفاته الكمالية العدل.

أسئلة حول الدرس

س١: ما فائدة معرفة الحسن والقبح العقليين في مسألة العدل الإلهي؟

س٢: عرف العدل لغة واصطلاحاً وعرف الحسن والقبح العقليين؟

س٣: اذكر ثلاثة من الأفعال الحسنة والسيئة التي تدركها بعقلك- غير ما ذكر- ؟

س٤: ما هو الدليل على العدل الإلهي؟

---

(١)- ٢٨٦/ البقرة.

(٢)- ٥٤/ يس.

الدرس الخامس:



الجبر:

تعتقد بعض فرق المسلمين أن الإنسان لا يملك أيَّ اختيار في أعماله وتصرفاته وكلامه وأن أفعاله شبيهة بالحركات الجبرية لأجزاء الماكنة وهم يقولون أنّ الفاعل الأساسي هو الله، والإنسان ليس له أي تأثير وإنّما هو عبارة عن آلة، وهؤلاء ـ الذين يعتقدون بهذا الاعتقاد ـ هم الجبريون الذين يقولون (بالجبر) بمعنى أن الإنسان مجبر على القيام بأفعاله.

بطلان عقيدة الجبر:

لبطلان هذا الكلام أدلة كثيرة نذكر منها:

١ إن الوجدان العام للإنسان يرفض الجبر: ونقصد به

- إن كلَّ إنسان في داخله يؤمن ويعتقد بأن أفعاله صادرة منه بإرادته واختياره

- كما أن البشر متفقون بدون استثناء على محاسبة الإنسان على أفعاله، وأنه مسؤول أمام القانون، وأن من يخالف القانون يجب أن يعاقب. فكيف يحاسب ويعاقب إذا كان الإنسان مجرد آلة لا تملك اختيار ولا إرادة حرة؟!

- **وبعبارة أخرى:** كيف يمكن التصديق بأن الإنسان يكون مجبوراً في إرادته وعمله ولا يكون صاحب اختيار وفي نفس الوقت مسؤولاً ومحاسبا أمام القانون! وعندما يخالف القانون نجعله أمام المحكمة ونخضعه للتحقيق ثم نسأله لماذا فعلت ذلك؟ وبعد أن يدان نرسله إلى السجن أو نحكم عليه بالإعدام؟!

- فلا يمكن أن نخطّئ عقل وضمير ورأي جميع الناس في العالم ونعتبر جميع القوانين والمحاكم عبثاً لا طائل من ورائه وظالمة، وننفي ما بداخلنا وما في وجداننا، ثم نعتقد بالجبر!

٢ تضاد منطق الجبر مع الدين:

- ما ذكر سابقاً عن تضاد عقيدة الجبر مع الوجدان والرأي العام للعقلاء، ولكن من حيث الفكر الديني هناك دليل قاطع على بطلان عقيدة الجبر؛ لأنه لا يمكن أن تنسجم العقائد الدينية مع عقيدة الجبر، ومن هذه العقائد:

أ. لا يمكن أن ينطبق العدل الإلهي على عقيدة الجبر، فكيف يجبر الله سبحانه وتعالى أحداً

على ارتكاب الخطيئة؟! ثم يقوم بعد ذلك بعقابه؟!

ب. قبول عقيدة الجبر يجعل الثواب والعقاب والجنة والنار بلا معنى أساسًا؛ لأنه سيكون المذنب والمحسن دون إرادة فيما يقومان به، فكيف تسمي الإنسان محسنًا وهو بالأساس لم يفعل ذلك باختياره؟!.

ج. القبول بالجبر يجعل مسألة التكليف والمسؤولية لا معنى لها لأن الشخص مسلوب الإرادة وبالتالي تكون جميع الآيات الواردة في النهي والأمر والتكليف عبثاً عند قبول عقيدة الجبر.

الدرس السادس:

التفويض، والأمر بين الأمرين

التفويض:

في مقابل الاعتقاد بالجبر ظهرت عقيدة أخرى فاسدة أيضا باسم (التفويض) والذين يعتقدون بالتفويض يرون أن اللّه تعالى قد خلقنا وخلق كل شيء (وفوض) إلينا كل شيء وأنه لا يعرف شيئاً عن أعمالنا، ولا علاقة له سبحانه بنا، وأن كلّ ما يدخل في نطاق أفعالنا فنحن مستقلون به دون أي تدخل آخر.

وطبعاً هذه العقيدة لا تنسجم مع مبدأ التوحيد، لأن التوحيد عَلَّمنا أن الكون كلّه للّه تبارك وتعالى، ولا يخرج شيء عن يده وسلطانه، فأعمالنا رغم أنها متروكة لاختيارنا وحرية إرادتنا، إلا أنها لا يمكن أن تخرج عن سلطانه، وقدرته، وإفاضاته الدائمة على المخلوقات، وفيض الوجود لو انقطع لحظة عن إنسان لانعدم ذلك الإنسان، ولم يكن شيئا مذكورا.

الأمر بين الأمرين:

أمّا مذهب أئمة أهل البيت(ع) في هذه المسألة، فهو العقيدة المعروفة باسم (أمرٌ بين أمرين)

الأمر بين الأمرين: هو المذهب الوسط فلا جبر ولا تفويض، فكلاهما عقيدة فاسدة، وإنما هو أمر بين أمرين، فلا إفراط ولا تفريط. ويقصد به أن للإنسان حرية واختيار في أفعاله وأقواله وتروكه، وفي نفس الوقت فإن الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئًا من دون قدرة اللّه تعالى التي منحها له، وجعله قادرًا على استعمالها في طريق الخير، وفي طريق الشر.

فاللّه تعالى لا يجبرنا على شيء، ولكن بدون قدرة اللّه تعالى لا نستطيع عمل شيء.

مثال: نفترض أن شخصاً ونتيجة لمرض أو حادثة أصيبت أعصاب يده بالعطب وفقد القدرة على الحركة ولكننا لو ربطنا تلك الأعصاب بقوة كهربائية ضعيفة فإن الحرارة تدب في الأعصاب وتبدأ الحركة.

إنّ هذا الشخص إذا أدى عملاً بتلك اليد مثلاً أعطى صدقة أو ضرب شخصاً لا شك أنه سيكون مسؤولاً عن عمله لأنه يملك القدرة والاختيار، والشخص (القادر المختار) مسؤول عن أعماله نفسه. ولكن رغم ذلك فإن الشخص الذي يمد اليد المصابة بالقدرة عن طريق الكهرباء يكون حاكماً بالنسبة للشخص المصاب رغم أن هذا الشخص يملك الحرية والاختيار.

ومن هذا المثال نقول: إن الله سبحانه وتعالى منحنا القوة والقدرة والعقل والذكاء وهذه الإمكانيات تأتينا باستمرار منه سبحانه، ولو انقطع لطفه ورعايته لنا لحظة وانقطعت علاقتنا به فإننا سنفنى وننتهي، ونحن إذ نتمكن من أداء عمل باختيارنا فإنما ذلك بالقدرة التي منحنا إيّاها سبحانه وتعالى.

القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأمر بين الأمرين: •هناك آيات شريفة تدل على أن الإنسان فاعل مختار منها قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2] •وهناك آيات تصرح بأن ما يقع في الكون لا يكون إلا بإذن الله تعالى ومشيئته ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ ....وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ....﴾[4].

خلاصة الآيات:

المجموعة الأولى من الآيات تناقض الجبر وتفنده،

والمجموعة الثانية من الآيات ترد التفويض وتبطله.

والجمع بين المجموعتين ترشدنا إلى أنّ العبد يقوم بكل فعل وترك باختيار وحرية ولكن بإقدار وتمكين من الله تعالى.

- ومن الآيات التي تدل على الأمر بين الأمرين قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى ....﴾[5] . فالرسول (ص) رمى ولكن بقدرة الله تعالى.

ومن الأحاديث الشريفة ـ في الأمر بين الأمرين ـ نذكر ما يلي:

روى الصدوق في الأمالي عن هشام قال: قال أبو عبد الله (ع): (إنا لا نقول جبراً ولا تفويضاً) [6].

ومنه روى الطبرسي في (الاحتجاج) عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: قال أبو جعفر(ع) للحسن

(١)- ٤٦/ فصلت.
(٢)- ٣/ الإنسان.
(٣)- ٢٩/ التكوير.
(٤)- ١٠٢/ البقرة.
(٥)- ١٧/ الأنفال.
(٦)- البحار/ج٥.

البصري (إياك أن تقول بالتفويض فإن الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه وهناً منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً) [1].

الخلاصة:

قول الإمام الصادق(ع): (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

أسئلة حول الدرس

س١: إلى ماذا يؤدي الإيمان بالجبر؟

س٢: إلى ماذا يؤدي الإيمان بالتفويض؟

س٣: ما هو الدليل على بطلان الجبر والتفويض عقلاً ومن القرآن الكريم؟

س٤: اشرح معنى عبارة الإمام الصادق(ع): (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

(١)- البحار/ج٥



النبوة العامة

أهداف الدرس:

1. أن يستذكر الطالب الدليل على ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام.

2. أن يدرك حدود المعرفة البشرية.

ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام:

إنّ إثبات ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام هي من المسائل المهمّة في مبحث النّبوّة، لأنّ البحث في المسائل المرتبطة بالنبوّة، كوجوب النظر في المعجزة، والبحث في دعوى مدّعي النبوّة، ووجوب طاعته وضرورة عصمته وغيرها من الأبحاث، متفرّع على إثبات ضرورة البعثة وعدم استغناء البشر - مهما تكاملت عقولهم وعلومهم - عن الوحي والنبوّة؛ ليصلوا إلى الهدف الّذي خلقوا من أجله.

ويمكن إثباتها ببرهان مؤلّف من مقدّمات:

1. **الاختيار الواعي لطريق الكمال:** إنّ الهدف من خلق الإنسان هو السّير في طريق تكامله، من خلال ممارسة الأفعال الاختياريّة لأجل التوصّل إلى كماله النّهائي، هذا الكمال الّذي لا يُتوصّل إليه إلّا باختيار الإنسان وإرادته.

وبتعبير آخر، إنّما خلق الإنسان ليكون- بعبادته وإطاعته لله تعالى- مستحقّاً وأهلاً للحصول على الرّحمة الّتي يختصّ بها الأفراد المتكاملون.

وقد اتّضحت هذه المقدّمة عند البحث في الحكمة والعدل الإلهيّ.

2. **الاختيار الواعي يحتاج إلى معرفة صحيحة:** إنّ الاختيار الواعي إضافة إلى احتياجه للقدرة على ممارسة العمل، وتوفّر الظروف والأجواء الخارجيّة لممارسة الأعمال المختلفة، ووجود الميل والدّافع الدّاخلي لها- يحتاج أيضاً إلى المعرفة الصّحيحة بالأعمال الحسنة والأعمال القبيحة، والطّرق الصّالحة وغير الصّالحة، وإنّما يتمكّن الإنسان من اختيار طريق تكامله - بكلّ حريّة ووعي- فيما لو كان يعرف الهدف، وطريق الوصول إليه، وكان عارفاً بكلّ العقبات والعراقيل والانحرافات والمزالق، الّتي قد تواجهه أثناء سيره التّكاملي.

إذاً، فمقتضى الحكمة الإلهيّة أنّ تتوفّر للبشر الوسائل والمستلزمات الضّروريّة للحصول على مثل

هذه المعارف والمدركات، وإلّا فسيكون حاله كحال الشّخص الّذي يدعو ضيفاً إلى داره، ثمّ لا يدلّه على مكانه، ولا على الطّريق المؤدّي إليه! ومن البديهيّ أنّ مثل هذا العمل مخالف للحكمة، وموجب لنقض الغرض. وهذه المقدّمة أيضاً واضحة.

3. **قصور المعرفة البشرية:** إنّ المعارف والعلوم الّتي أفاضها الله على البشر، والّتي تحصل نتيجة التّعاون بين الحسّ والعقل، لها دورٌ فاعلٌ في توفير ما يحتاج إليه الإنسان في حياته، ولكنّها لا تكفي للتّعرّف على طريق الكمال والسّعادة الحقيقيّة، وفي جميع المجالات الفرديّة والاجتماعيّة، والمادّيّة والمعنويّة، والدنيويّة والأخرويّة، وإذا لم يوجد طريق آخر لسدّ النّقائص وملء الفجوات فلن يتحقَّق الهدف الإلهي من خلق الإنسان.

الوحي طريق للكمال:

ولتوضيح هذه المقدّمة أكثر سيّما مع تشكيك البعض بها لا بدّ من القول: إنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي وضع طريق آخر للبشر- غير الحسّ والعقل- من أجل التعرّف على طريق الكمال في كلّ المجالات، حتّى يستطيع البشر الاستفادة منه.

وهذا الطّريق هو الوحي والّذي من خلاله يتمكّن الإنسان من الوصول إلى السّعادة والكمال النّهائي، وبذلك يتحقّق الغرض من الخلق.

تعدّد احتياجات البشر يحتاج لمعرفة شاملة لسنِّ القوانين الملائمة:

لا يشكّ عاقل في أنّ حاجات البشر متنوّعة ومتعدّدة، فمنها حاجات تختصّ بالأشخاص، ومنها حاجات ترتبط بالجماعات، وبعضها حاجة للبدن وبعض آخر حاجات ترجع إلى الرّوح، وبعضها يتعلّق بالدّنيا ومنها يتعدّى الدّنيا إلى الآخرة، وهذه الحاجات قد تتداخل مع بعضها وتتعارض، فكم من مصلحة شخصيّة تزاحم مصلحة عامّة، وكم من حاجة للبدن تتنافى مع بعدٍ من أبعاد الرّوح، وكذلك الحال بين المصالح الدّنيويّة والأخرويّة، إضافة إلى وجود فوارق معرفيّة وبدنيّة ونفسيّة متفاوتة بين البشر، وكلٌّ منهم يعيش ظروفاً طبيعيّة واجتماعيّة مختلفة، ومراعاة هذه المصالح والحاجات، والموازنة بينها، وتحديد الأصلح عند التّزاحم والتعارض بينها هو أمر خارج عن قدرة البشر، سواء كانوا جماعات أم أفراداً، بدليل أنّ التغيير الدّائم في القوانين والتّشريعات البشريّة عبر العصور يؤكّد على أنّ البشر لم يستطيعوا حتّى الآن الوصول إلى قانون كامل وشامل يحفظ المصالح ويحدّد الأولويّات،

مع أنّ هؤلاء المشرّعين قد استفادوا كثيراً من التّشريعات والقوانين الإلهيّة، هذا إضافة إلى أنّهم حصروا جهدهم في تحصيل المصالح الدّنيويّة دون غيرها.

خلاصة الدرس

- لإثبات ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام هناك مقدّمات:

الأولى: إنّ الهدف من خلق الإنسان هو الوصول إلى الكمال باختياره.

الثانية: اختيار طريق الكمال يحتاج إلى معرفة صحيحة بكيفيّة الوصول إلى الكمال.

الثالثة: المعرفة البشريّة قاصرة عن معرفة كيفيّة الوصول إلى الكمال.

النتيجة: لا بدّ من الأنبياء عليهم السلام الموحى إليهم من الله تعالى؛ ليُعرِّفوا البشر على طريق الكمال، وذلك لأنّ مقتضى الحكمة أن يزوِّد كلّ موجود بما يمكّنه من الوصول إلى هدفه وإلا لزم العبث.

أسئلة حول الدرس

1. تحدّث باختصار عن مقدّمات دليل (ضرورة بعثة الأنبياء عليه السلام.
2. تحدّث بوضوح وتفصيل عن قصور المعرفة البشريّة.



الدرس الثامن:

بعثة الأنبياء عليهم السلام

أهداف الدرس:

1. أن يعدد الطالب بعض أسباب تعدد الأنبياء عليهم السلام.
2. أن يميّز بين النبي والرسول.
3. أن يستذكر بعض فوائد بعثة الأنبياء.

تعدّد الأنبياء عليهم السلام

بما أنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت وجود طريق الوحي؛ لأجل تحقّق الغرض من خلق الإنسان وهو الكمال على مستوى الفرد والمجتمع، وبما أنّ هذا الهدف لا يتحقّق من خلال نبيّ واحد، فكان لا بدّ من تعدّد الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿ ....وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١].

أسباب التعدّد

هناك عدد من الأسباب لتعدّد الأنبياء عليهم السلام نذكر منها:

1. محدوديّة وقصر عمر الإنسان بما في ذلك الأنبياء عليهم السلام، وعدم وجود ما يقتضي بقاء النّبيّ الأوّل حتّى نهاية العالم.
2. **إنّ عدم قدرة الأنبياء عليهم السلام في عصرهم وزمانهم على نشر دعوتهم** وتبليغها لكلّ الأمم والشّعوب، فرض ضرورة تعدّد الأنبياء حتّى في عصر واحد كما في نبوّة إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام.
3. **تطوّر المجتمعات**، وتغيّر الظّروف، وتوسّع وتعقّد العلاقات الاجتماعيّة، حيث يصل إلى حدّ يُحتاج فيه إلى تطوير الأحكام والقوانين الاجتماعيّة والفرديّة كمّاً ونوعاً، إضافة إلى تشريعات جديدة لم تكن تحتاجها المجتمعات السّابقة أساساً، وهذا يفرض وصول هذه التّشريعات على يد أنبياء جدد.
4. **وقوع التّحريف العمديّ أو التّفسيروالفهم الخاطئ**، والّذي يصل إلى حدّ الانحراف عن المسار الّذي يريده الله سبحانه وتعالى، كما حصل في التوراة والإنجيل.

---

(١)- ٢٤/ فاطر.

لهذه الأسباب وغيرها لزم تعدّد الأنبياء، وكلّ نبيّ أدّى دوره المطلوب منه على أحسن وجه، وكانت رسالته مهمّة وصائبة، إلّا أنّ دورها انتهى فبدأت رسالة أخرى من حيث انتهت الأولى، وهكذا يستمرّ تكامل المجتمعات تبعاً لتكامل الرّسالات، ولذلك، يجب الإيمان والاعتقاد بكلّ الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١].

النّبيّ والرّسول وأولو العزم

النّبيّ: هو حامل النبأ من الله تعالى، سواء أُمر بالتبليغ أم لا.

الرّسول: هو خصوص النّبيّ المأمور بتبليغ الرّسالة الموحاة إليه.

فللنبيّ شرف العلم بالله وبما عنده، وللرسول شرف الطاعة بين الله سبحانه وبين خلقه.

أولو العزم: هم خصوص من امتاز من الرسل بالصّبر والاستقامة الشديدين. وامتازوا أيضاً بأنّ لكلّ واحد منهم كتاباً وشريعة مستقلّة، يتبعها الأنبياء المعاصرون لهم والمتأخّرون عنهم إلى أن يبعث الله نبيّاً آخر من أولي العزم برسالة وشريعة جديدة، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ..﴾[٢]. وهذه المعاني المذكورة موافقة للمعنى اللغويّ، وقد ورد في رواية عن الإمام الباقرعليه السلام قال:»النبيّ الّذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يرى الملك، والرسول الّذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك...»[٣].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ....﴾[٤].

وفي الخبر عن أبي ذر: «قلت: يا رسول الله كم النّبيّون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جماً غفيراً»[٥].

وفي الخبر عن أبي جعفر عليه السلام: «أولو العزم من الرّسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى

(١)-١٣٦/ البقرة.

(٢)- ٣٥/ الأحقاف.

(٣)- الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ١٧٦.

(٤)- ١٣/ الشورى.

(٥)- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١١، ص٣٢.

وعيسى ومحمّد صلى الله عليهم أجمعين»[١].

فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام

إنّ الهدف والغاية الأولى من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو هداية البشريّة إلى الطّريق الصّحيح للتكامل الحقيقيّ، وتلقّي الوحي وإبلاغه للنّاس، إلّا أنّ لها فوائد أخرى مهمّة في تكامل البشر، وأهمّها ما يلي:

1. إنّ هناك الكثير من المعلومات، الّتي يمكن للعقل الإنساني إدراكها، ولكنّه ربّما غفل عنها معظم النّاس، فيحتاجون إلى من يذكّرهم بها وهم الأنبياء، ومن هنا يعرف السّبب في أطلاق صفتي "المذكّر والنذير" على الأنبياء عليهم السلام، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيَّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ»[٢].

2. إنّ أهمّ العوامل الّتي لها تأثيرها الفاعل في التّربية، وفي رشد الإنسان وتكامله، وجود القدوة والأسوة. والأنبياء الإلهيّون الّذين يجسّدون الإنسان الكامل، هم أعظم مثال للاقتداء والتأسّي وفي مقدّمتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾[٣]، فالأنبياء هم القدوة والمثل الأعلى الّذي يحتاجه كلّ سالك في طريق الكمال، حيث يقومون بمهمّة تربية النّاس وتزكيتهم، والقرآن الكريم ربط بين التّعليم والتّزكية، حتّى أنّه في بعض الآيات قدَّم التّزكية على التّعليم.

قال تعالى: ﴿ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ الۡكِتَابَ وَالۡحِكۡمَةَ ....﴾[٤].

3. ومن معطيات وفوائد وجود الأنبياء عليهم السلام بين النّاس، تولّي القيادة في المجالات الاجتماعيّة والسياسيّة والقضائيّة، حينما تتوفّر الظّروف اللّازمة لذلك، وبديهيّ أنّ القائد المعصوم من أعظم النّعم الإلهيّة للمجتمع، حيث تعالج بواسطته الكثير من المعضلات والمشكلات الاجتماعية، ويتمّ إنقاذ الأمّة من الاختلاف والتنازع والفوضى والانحراف؛ ليقودها باتّجاه كمالها المنشود.

إثبات الأنبياء عليهم السلام في كلام المعصوم عليه السلام

(١)- م.ن، ج١١، ص٣٣.
(٢)- نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٣، خ١.
(٣)- ٢١/ الأحزاب.
(٤)- ٢/ الجمعة.

سأل رجل الإمام الصّادق عليه السلام: من أين أثبتَّ الأنبياء والرّسل عليهم السلام؟

فقال عليه السلام: "إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا، وعن جميع الخلق، ولمّا كان الصّانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، يلامسوه، فيباشرهم ويباشرونه، ويحاجّهم ويحاجّونه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والنّاهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه جلَّ وعزَّ، وهم الأنبياء عليهم السلام، وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للنّاس- على مشاركتهم لهم في الخلق والتّركيب- في شيء من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر، وزمان ممّا أتت به الرّسل والأنبياء عليهم السلام من الدّلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجّة، يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته، وجواز عدالته"[1].

خلاصة الدرس

- من أسباب تعدُّد الأنبياء عليهم السلام:

1. محدوديّة وقصر عمر النبيّ.
2. عدم قدرة النبيّ في عصره على نشر دعوته لكلّ الأمم.
3. تطوّر المجتمعات، وتبدُّل الظروف.
4. وقوع التحريف العمديّ أو التفسير والفهم الخاطئ لرسالات الأنبياءعليهم السلام.

النبيّ: حامل النبأ من الله تعالى، سواء أمر بالتبليغ أم لا.

الرسول: خصوص النبيّ المأمور بالتبليغ.

أولو العزم: خصوص من كان له كتاب وشريعة،

وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام.

- من فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام:

(١)- الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص١٦٨.

1. الهداية والتذكير والنذير وإثارة الفطرة.

2. كون الأنبياء عليهم السلام قدوة، والقدوة لها تأثير فاعل في التربية.

3. تولّي قيادة المجتمع إذا توفّرت الظروف.

أسئلة حول الدرس

1. ما هي الأسباب الّتي أدّت إلى تعدّد الأنبياء عليهم السلام؟

2. ما هو معنى (النبيّ) و (الرسول) و (أولو العزم)؟

3. ما هي فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام؟



المعجزة

أهداف الدرس:

1. أن يتعرف الطالب معنى المعجزة.
2. أن يعدد عناصر المعجزة.
3. أن يتبين الترابط بين المعجزة والنبوة.

مقدّمة

يعتبر مقام النّبوّة من المقامات السّامية ويتوقّف على إثبات النّبوّة مصير الإنسان وسعادته دنيا وآخرة، ولها أهميّة كبرى كونها من المقامات والمناصب الإلهية الّتي لا يدانيها أيّ منصب ومقام آخر، ولأنّها منصب خطير شكّلت مطمعاً لأصحاب الأهواء من أهل الدنيا، فادّعَوْها كذباً وزوراً، ولأنَّ النّبوّة ارتباط بالغيب الّذي لا يستطيع النّاس الاطّلاع عليه بشكل مباشر، لأجل كلّ ما ذكر وجب أن يزوّد النّبيّ بأمر يعجز النّاس عن الإتيان بمثله، ليستطيع النّبيّ من خلاله إثبات صدقه في دعواه النّبوّة وكذب كلّ من يدعيها زوراً وطمعاً وهذا الدّليل يسمّى (المعجزة).

تعريف المعجزة

المعجزة: (هي أمر خارق للعادة، يعجز النّاس عن الإتيان بمثله، مطابق للدّعوى (المطلوب) مصحوب بدعوى النّبوّة، (مقرون بالتّحدّي- غالباً.

يشتمل تعريف المعجزة على مجموعة عناصر:

1. "**أمر خارق للعادة**" يعني أنّ المعجزة خارجة عن الأسباب المادّيّة والطبيعيّة المعروفة والواقعة تحت قدرة البشر، فلا تدركها الحواس ولا تنالها التجربة، فهي محال عادة، ولكنّها ليست خارجة عن الأسباب والقوانين العقليّة، إذ إنّ المعجزة لا تعني وجود الأمر الخارق بدون علّة، لأنّ لها علّة لكنّها غير معروفة ولا مقدورة للبشر، بل لها علّة غيبيّة إلهيّة.

فتحصّل أنّ المعجزة خاضعة لقانون العلّية العامّ وليست مناقضة له، لأنّ أقصى ما يقتضيه هذا القانون هو (أنّه لا بُدّ لكلّ معلول من علّة توجده)، أمّا خصائص هذه العلّة فهي أمر آخر خارج هذا القانون، وبالتّالي فالمعجزة ليست مستحيلة عقلاً.

2. **أنها "يعجز النّاس عن الإتيان بمثله"** وبهذا يفرّق بين المعجزة، وبين أعمال المرتاضين والسّحرة وأصحاب الإبداع العلمي، فهي قد تكون خارقة للعادة، ولكنّها تعتمد على علل وأسباب معروفة عند أهل هذا العلم وأصحاب الفنّ، وإن كانت مجهولة عند غير أهل الاختصاص فهو غير معجز لإمكان الإتيان بمثله ممّن تعلّم قواعده وعرف خفاياه.

3. **أن يكون "مطابق للدّعوى"** والمقصود من هذا أن تكون نتيجة الفعل موافقة لما قصده النبيّ أو طُلِب منه، فيكون دليلاً على صدق مدّعي النّبوّة في دعواه، لأنّ المعجزة إنّما يأتي بها النّبيّ أو تطلب منه لأجل أن يثبت صحّة وصدق ارتباطه بالغيب، وإلّا لو كان الفعل مخالفاً لكان دليلاً على كذبه وإن كان خارقاً للعادة، فمسيلمة الكذّاب عندما طلبوا منه أن يتفل في بئر ليفيض ويكثر ماؤه، غاض وغار ماؤه فدلّ ذلك على كذبه.

4. **أن تكون "مصحوبة بدعوى النّبوّة"** يعني أنّ الإتيان بالأمر الخارق للعادة المشتمل على الشّروط المتقدّمة لا يسمّى معجزة في المصطلح الخاصّ، إلّا إذا كان مصحوباً بدعوى النّبوّة، وأمّا لو لم يكن مصحوباً بها فيسمّى كرامة كما هو الحال فيما يأتي به الأئمّة عليهم السلام والأولياء.

5. **أن تكون "مقرونة بالتّحدّي"** وهذا الشرط لا يدخل في حقيقة المعجزة بقدر ما يشكّل وسيلة لحصول الإقرار والإذعان، بحيث تكون الحجة للنّبيّ على النّاس واضحة بيّنة، فإنّ النّبيّ عندما يتّحدّى المنكرين لنبوّته الإتيان بمثله إنّما يتحدّاهم لإثبات عجزهم وتأكيد إعجاز فعله، وصحّة ارتباطه بالغيب وتصديق الله تعالى له وأنّه مرسل من قبله.

طريقان آخران غير المعجزة

يوجد طريقان آخران يمكن إثبات النّبوّة من خلالهما في بعض الحالات وهما:

أوّلاً: الحياة الشخصيّة المستقيمة للإنسان قبل نبوّته من المزايا والفضائل، وسيرته الحسنة مثل الصّدق والأمانة، والعدالة والتّواضع وغيرها،

وكذلك مضمون دعوته كالدّعوة للحقّ والعدل والتّوحيد والأخلاق الحسنة وغيرها، فإنّها قد تصل بالبعض إلى حدّ الاطمئنان والتّصديق بنبوّته. إلّا أن هذا الطريق يبقى ناقصاً في الغالب لأنّه لا يفيد القطع والجزم التامّ.

ثانياً: تبشير النّبيّ السّابق وتصديقه ودلالته على النّبيّ الّذي يأتي من بعده، فإنّه طريق تثبت من خلاله نبوّة اللّاحق. وإلاّ لزم تكذيب النبيّ السابق أو خطؤه وقد تقدّم استحالة هذا على النبيّ مطلقاً.

التّرابط المنطقيّ بين المعجزة والنّبوّة

يوجد بين المعجزة والنبوّة رابط حقيقي، وذلك، لأنّ ادّعاء النّبوّة يلازمه ادعاء الارتباط بالغيب من خلال الوحي الإلهي، وهذا لا يمكن أن تدركه الحواس، أو يطّلع عليه النّاس، وعليه فادّعاء النّبوّة ادّعاء لأمر خارق للعادة، فلو كان النّبيّ صادقاً في دعواه النّبوّة والوحي كان لازمه أنّه مؤيّد بقوّة إلهيّة، والمؤيّد بهذه القوّة الإلهيّة حقّاً، يمكنه الإتيان بخارق آخر للعادة وهو المعجزة.

وبسبب هذا الترابط المنطقي كان النّاس يطلبون المعجزة ليثبتوا صحّة دعوى النّبوّة من مدّعيها.

فوارق بين المعجزة وغيرها من الخوارق

يوجد مجموعة فوارق بين الخارق للعادة الإلهيّ بقسميه المعجزة والكرامة من جهة وبين غيرهما من الخوارق.

أنّ المعجزة والكرامة وليدتا العناية الإلهيّة الخاصّة: ولذلك لا تكونان خاضعتين للدّراسة والتّعلّم، وأمّا السحر وغيره فهو نتاج التّعليم والتّعلّم، وله قواعد ومنهج علميّ ويحتاج إلى ممارسة وتدريب قال تعالى: ﴿...وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ...﴾[1].

المعجزة شديدة التنوع: أنّ السّحر متشابه في نوعه يدور في فلك واحد، ولا يأتي السّحرة إلاّ بما تدرّبوا عليه، وأمّا المعجزة فهي شديدة التّنوّع بحيث لا تكاد تجد بينها قدراً مشتركاً، فأيّ قدر مشترك مثلاً في معاجز النّبيّ عيسى عليه السلام الّتي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، فما هو القدر المشترك بين إحياء الأموات، وشفاء المرضى وعلمه بما يأكل النّاس وما يحتفظون به في بيوتهم؟

(١)- ١٠٢/ البقرة.

(٢)- ٤٩/ آل عمران.

6. **الاختلاف بينهما من حيث الأهداف والغايات:** فإنّ الأنبياء عليهم السلام يأتون بالمعجزة ليصلوا من خلالها إلى أهداف سامية من الدّعوة إلى الله تعالى، ونفي الشّرك والدّعوة إلى الفضائل، ونبذ الرّذائل، وللعدل وغيرها.

أمّا السّحرة وغيرهم فالمهمّ عندهم هو الشهرة والمال وغير ذلك من المصالح الخاصّة، ولذلك تجد الأنبياء عليهم السلام يتّصفون بما يدعون إليه من مكارم الأخلاق بخلاف السّحرة وغيرهم.

خلاصة الدرس

المعجزة هي: أمر خارق للعادة، يعجز الناس عن الإتيان بمثله، مطابق للدّعوى، مصحوب بدعوى النبوّة، مقرون بالتحدّي غالباً، **ويشتمل هذا التعريف على عناصر:**

1. **أمر خارق للعادة:** فهي غير مقدورة للبشر، وهي محال عادة، وإن كانت غير مستحيلة عقلاً، ولا تخرج عن قانون العلّيّة وإن كانت العلّة غير معروفة.

2. **يعجز الناس عن الإتيان بمثله:** وبهذا تفترق المعجزة عن غيرها من الأعمال الخارقة الّتي تعتمد على علل وأسباب معروفة، يُمكن لمن تعلّم أسرارها وقواعدها أن يقوم بها.

3. **مطابق للدعوى:** فمسيلمة الكذّاب طُلب منه أن يتفل في بئر ليفيض، إلّا أنّه حصل العكس فغاض الماء وبذلك بان كذبه.

4. **مصحوبة بدعوى النبوّة:** حيث إنّ الكرامة خارقة للعادة ولكنّها غير مصحوبة بدعوى النبوّة، كما كان يحصل مع الأئمّة عليهم السلام والأولياء.

5. **مقرونة بالتحدّي:** فالنبيّ يتحدّى المنكرين لنبوّته لإثبات عجزهم وتأكيد إعجاز فعله وصدق نبوّته.

- هناك طريقان آخران لإثبات النبوّة غير المعجزة، وهما:

أوّلاً: الحياة الشخصيّة المستقيمة للإنسان قبل نبوّته من المزايا والفضائل وكذلك مضمون دعوته.

ثانياً: تبشير النبيّ السابق بالنبيّ اللاحق.

- هناك رابط منطقي بين النبوّة والمعجزة، حيث إنّ ادعاء النبوّة تعني الارتباط بالغيب والقوّة الإلهيّة، ولازم ذلك إمكان المدّعي الإتيان بخارق العادة (المعجزة).

- هناك فوارق بين المعجزة وغيرها من الخوارق:

1. أنّ المعجزة ناشئة من العناية الإلهيّة، ولذلك لا تكون خاضعة للدراسة والتعلُّم بخلاف غيرها من الخوارق.

2. المعجزة شديدة التنوّع بخلاف غيرها من الخوارق.

3. الاختلاف بينهما من حيث الأهداف والغايات، فالمعجزة هدفها سامٍ نبيل بخلاف، غيرها من الخوارق الّتي تكون لأجل المال والشهرة وغير ذلك من المصالح الضيّقة.

أسئلة حول الدرس

1. عرّف المعجزة، (مع توضيح مختصر.

2. تحدّث عن الطّريقين الآخرين- غير المعجزة- لإثبات النّبوّة.

3. تحدّث حول الرابط المنطقيّ بين المعجزة والنّبوّة.

4. عدّد الفوارق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادة، (مع توضيح مختصر.

الدرس العاشر:

نبيّ الإسلام صلى اللّٰه عليه وآله وسلم

أهداف الدرس:

1. أن يستذكر الطالب الدليل على نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

2. أن يعدد واحدة من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

تمهيد

إنّ ما نزل من وحي على النّبيّ موسى وعيسى عليهما السلام وهما التوراة والإنجيل قد تعرّضا للتّحريف، ولا يمكنهما أن يقوما بالدّور المنشود في هداية البشر. وأمّا لماذا وكيف تمّ هذا التّحريف فله حكاية طويلة ليس هنا مجال البحث عنها [١].

أجل، في القرن السّادس بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وفي فترة أطبق فيها على العالم كلّه ظلام الجهل والظلم، وخمدت مشاعل الهداية الإلهيّة في كلّ أنحاء العالم، بعث الله خاتم أنبيائه عليهم السلام وأفضلهم في أكثر المناطق تخلّفاً وانحطاطاً وظلمة؛ ليضيء- وإلى الأبد- مشعل الوحي السّاطع لكلّ النّاس، وليحمل للبشر الكتاب الإلهيّ الخالد المصون من التّحريف والنّسخ، وليعلّم النّاس المعارف الحقيقيّة والحكمة السّماويّة، والأحكام والقوانين الإلهيّة، وليقود البشريّة جمعاء باتجاه السّعادة الدّنيويّة والأخرويّة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢].

يصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه الظّروف والأوضاع الّتي كان يعيشها العالم أيّام بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

"أرسله على حين فترة من الرّسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظّ من الحروب، والدّنيا كاسفة النّور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منائر الهدى، وظهرت أعلام الرّدى، فهي متجهّمة لأهلها،

(١)- راجع: إظهار الحقّ، تأليف رحمة الله الهندي، والهدى إلى دين المصطفى، للعلامة البلاغي، و(راه سعادت بالفارسية للعلامة الشعراني.

(٢)- ٢/ الجمعة.

عابسة في وجه طالبها. ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السّيف".[١]

الدّليل على نبوّة نبيّ الإسلام

يمكن أن نثبت نبوّة الأنبياء عليهم السلام من خلال الطرق الثلاث- الّتي مرّ ذكرها.

1. التّعرف على سيرتهم وسلوكهم، والاعتماد على القرائن والمؤشّرات المؤدّية للاطمئنان بصحّة نبوّتهم عليهم السلام.
2. إخبار الأنبياء عليهم السلام السّابقين وبشاراتهم.
3. المعجزة.

ولقد توفّرت الطّرق الثّلاث لنّبيّ الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

الطريق الأول: عاصر أهل مكّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، واطّلعوا عن كثب على حياته خلال أربعين عاماً، فلم يجدوا نقطة ضعف واحدة في حياته المضيئة الحافلة بالنّور والعطاء، وعرفوه بالصّدق والأمانة، حيث لقّبوه بـ (الصادق الأمين)، وبطبيعة الحال، فلا يحتمل الكذب في مثل هذا الشّخص. وعليه فإذا ادعى النبوّة يُطمأن بصدقه وصحّة دعواه.

الطريق الثاني: فقد وردت بشارات الأنبياء السّابقين وإخبارهم ببعثته[٢]. وقد كان ينتظر ظهوره جماعة من أهل الكتاب، وكانوا يعرفون بعض العلامات الواضحة والبيّنة عليه[٣]، وكانوا يقولون للمشركين من العرب، بأنّه سيبعث بالرّسالة أحد أبناء النّبيّ إسماعيل (وهم من القبائل العربيّة)، يصدّق الأنبياء السّابقين والأديان التّوحيديّة[٤]. وقد آمن به صلى الله عليه وآله وسلم بعض علماء اليهود والنّصارى، اعتماداً على مثل هذه البشائر والأخبار[٥]، وإن أعرض بعضهم عن اعتناق

(١)- نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧، وفي طبعة صبحي الصالح (منار) بدل(منائر) الخطبة ٨٩، ص١٢١، ج ١٢٢..

(٢)- ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾الصف/٦.

(٣)- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾الأعراف/١٥٧. وانظر أيضا: سورة البقرة، الآية: ١٤٦، وسورة الأنعام، الآية: ٢٠ .

(٤)- ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾البقرة/٨٩.

(٥)- ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ

الإسلام خضوعاً لدوافع دنيوية وشيطانيّة.

وقد أشار القرآن الكريم لهذا الطّريق بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(١).

إنّ معرفة علماء بني إسرائيل بنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم استناداً لبشارات الأنبياء السّابقين كما تُعدّ دليلاً واضحاً على صحّة رسالته فهي من المفترض أن تكون مقنعة لأهل الكتاب جميعاً. وأيضاً تعتبر حجّة مقنعة على أنّ الأنبياء المبشّرين أنفسهم كانوا على حقّ.

وممّا يثير العجب والدّهشة ويجدر الالتفات إليه هو أنّه حتّى في هذا الإنجيل، وفي التوراة المحرّفة نفسها، وبالرّغم من كلّ الجهود الّتي بُذلت من أجل إخفاء مثل هذه البشارات والأخبار، توجد بعض النّقاط المضيئة الّتي تقيم الحجّة على الباحثين عن الحقيقة، كما اهتدى الكثير من علماء اليهود والمسيحيين- الّذين كانوا طلابا للحقّ والحقيقة - إلى الدّين الإسلامي المقدّس، بتأثير هذه النّقاط المضيئة، والبشائر المتبقّية في كتابَي التوراة والإنجيل.(٢)

الطريق الثالث: وقد سُجّلت في كتب التّاريخ والحديث الكثير من المعجزات البيّنة الّتي صدرت عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بلغ نقل الكثير منها حدّ التّواتر، كتسبيح الحصى بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، وانشقاق القمر إلى فلقتين وغيرها (٣)، ولكن العناية الإلهيّة اقتضت وجود معجزة أخرى خالدة تدّل على نبوّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودينه الخالد، وهذه المعجزة الأخرى، هي خالدة بنفسها وبها تتمّ الحجّة على البشر- وإلى الأبد- وهي القرآن الكريم.

القرآن معجزة

إنّ القرآن الكريم هو الكتاب السّماوي الوحيد الّذي أعلن- وبكلّ صراحة وقوّة- أنّ أحداً لن يتمكّن من الإتيان بمثله، ولو اجتمعت الإنس والجنّ، فلن يتمكّنوا من ذلك (٤).، بل إنّهم لا يقدرون على

الشَّاهِدِينَ﴾المائدة/٨٣، وانظر أيضاً: سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(١)- ١٩٧/ الشعراء.

(٢)-. يمكن أن نعتبر من هؤلاء الميرزا محمد رضا (من علماء اليهود الكبار في طهران) مؤلف كتاب (إقامة الشهود في رد اليهود)، والحاج بابا القزويني اليزدي (من علماء اليهود في يزد) مؤلف كتاب (محضر الشهود في رد اليهود) والبروفسور عبد الأحد داود الأسقف المسيحي السابق، ومؤلف كتاب (محمد في التوراة والإنجيل) الّذي ترجم أخيراً من الإنجيلزية للفارسية.

(٣)-. يلاحظ: بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي، ج ١٧، ص ٢٢٥ إلى آخر الجزء ١٨، وسائر كتب الحديث والتاريخ المعتبرة.

(٤)- ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء/٨٨.

الإتيان بعشر سور مثله [١]، بل حتّى سورة واحدة قصيرة ذات سطر واحد [٢].. ومن ثمّ تحدّى الجميع ودعاهم لمعارضته ومجاراته، وأكّد ذلك كثيراً في آياته وأنّ عدم قدرتهم على مثل هذا العمل وعدم الاستجابة لهذا التّحدي دليل على صحّة نسبة هذا الكتاب ورسالة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لله تعالى[٣].

إذاً فممّا لا يقبل الشّكّ والتّردّد أنّ هذا الكتاب الشّريف قد حمل معه دعواه بأنّه معجزة، كما أنّ من جاء به عرضه للبشر كمعجزة خالدة، وبرهان قاطع على نبوّته وإلى الأبد. واليوم، وبعد مرور أربعةَ عشَر قرناً، لا زال صدى هذا الصّوت الإلهيّ يطرق أسماع الجميع، صباح مساء من خلال أجهزة الإعلام الصّديقة والعدّوة، ويُتمّ الحجَّةَ عليهم.

ومن جانب آخر، واجه نبيّ الإسلام من أوّل يوم من دعوته أعداء متشدّدين، وحاقدين، بذلوا كلّ غالٍ ونفيس، لمحاربة هذا الدّين الإلهي، وبعد أن يئسوا من تأثير تهديداتهم وإغراءاتهم تآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم واغتياله. ولكن فشلت هذه المؤامرة بإرادة من الله الحكيم وذلك من خلال هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً وسرّاً إلى المدينة. وبعد هجرته قضى بقيّة عمره الشّريف في حروب ومعارك عديدة مع المشركين وحلفائهم من اليهود. ومنذ وفاته وإلى اليوم حاول-ويحاول- منافقو الدّاخل وأعداء الخارج إطفاء هذا النّور الإلهيّ، وقد بذلوا كلّ جهودهم وقواهم في هذا المجال، ولو كان يمكنهم الإتيان بكتاب مثل القرآن الكريم لفعلوا ذلك بدون تردّد. وأراحوا أنفسهم من كُلِّ جهد وعناء. وإذ لم يفعلوا مع أنّه السبيل الأقصر والأسهل فيكشف هذا عن أنَّ القرآن معجز فوق قدرة البشر.

خلاصة الدرس

- يمكن إثبات نبوّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الطرق الثلاث- الّتي مرّ ذكرها في الدرس السابق.

الأوّل: المعجزة، حيث كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاجز كثيرة تُحدِّثنا كتب السيرة

(١)- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾هود/١٣.
(٢)- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يونس/٣٨.
(٣)- ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾البقرة/٢٣ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾البقرة/٢٤.

عنها.

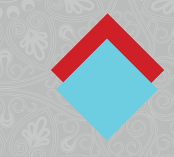
الثاني: سيرة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الناصعة ومضمون رسالته الراقية.

الثالث: إخبار الأنبياء السابقين وبشاراتهم بالنسبة إلى نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

- أهمُّ معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معجزة القرآن الكريم، حيث عجز الناس عن الإتيان ولو بسورة من مثله.

أسئلة حول الدرس

1. كيف يصف أمير المؤمنين عليه السلام حال العالم قبل البعثة؟
2. تحدث حول سيرة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والّتي تدّل على نبوّته.
3. اذكر بعض بشارات الأنبياء عليهم السلام بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.
4. اذكر دليلاً على نبوّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.



الدرس الحادي عشر:

إعجاز القرآن الكريم

أهداف الدرس:

1. أن يعدد الطالب عناصر الإعجاز في القرآن الكريم.

1. أن يتعرف إلى معنى أمية النبي في القرآن.

تمهيد

لقد تقدّمت الإشارة في الدرس السابق إلى أنّ القرآن الكريم كلام إلهيّ معجز، فهو يملك كلّ خصائص المعجزة (من كونه خارقاً إلهيّاً للعادة، وأنّه لا يقبل التّقليد والمعارضة، وطرحه دليلاً على صحة النّبوّة). ومن هنا فهو أفضل دليل قاطع على صدق دعوى النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أنّ الدّين الإسلامي المقدّس على حقّ، وأنّ من أكبر النّعم الإلهيّة على الأمّة الإسلاميّة أن يكون هذا الكتاب الشّريف قد نزل بصورة يبقى معها- وإلى الأبد- معجزة خالدة، وأن يملك في داخله الدّليل على صدقه وصحَّته واعتباره. هذا الدّليل الّذي يمكن لأيّ فرد فهمه واستيعابه وتقبّله دون احتياجه لتعلّم وتخصّص.

عناصر الإعجاز في القرآن الكريم

بعد المعرفة الإجماليّة بأنّ القرآن الكريم كلام إلهيّ معجز، وصل الدّور لتوضيح بعض عناصر الإعجاز القرآنيّة.

أ- فصاحة القرآن وبلاغته: إنّ أوّل عنصر من عناصر الإعجاز في القرآن الكريم هو فصاحته وبلاغته، أي: أنّه تعالى استخدم لعرض مقاصده وفي كلّ موضوع أعذب الألفاظ وأجملها، وأجود التّراكيب سبكاً واعتدالاً وإتقاناً ووقعاً، ومن خلال ذلك يوصل المعاني المقصودة للمخاطبين بأفضل الأساليب وأقربها للفهم، لا يتيسّر اختيار أمثال هذه الألفاظ والتّراكيب المتناسقة الملائمة للمعاني العالية والدّقيقة، إلّا لمن كانت له إحاطة تامّة بكلّ خصوصيّات الألفاظ ودقائق المعاني، والعلاقات المتبادلة فيما بينها، ليُمَكِنُه اختيار أفضل الألفاظ والعبارات، مع ملاحظة كلّ أبعاد المعاني المقصودة وجوانبها، وملاحظة مقتضى الحال والمقام. ومثل هذه الإحاطة العلميّة الشّاملة لا يمكن توفّرها في أيّ إنسان بدون الاستعانة بالوحي والإلهام الإلهيّ.

وأمّا التّعرف على أنّه معجزة في الفصاحة والبلاغة، فلا يتيسّر إلّا لأولئك الّذين يملكون الخبرة

والتّخصّص في فنون الكلام المختلفة، ومقارنة ما يتميّز به القرآن الكريم مع سائر أنواع الكلام الفصيح والبليغ، واختبار قدراتهم بالقياس إليه. ومثل هذه المهمّة لا يقوم بها إلّا الشّعراء والبلغاء العرب، وذلك لأنّ أعظم ما كان يتميّز به العرب من فنّ في عصر نزول القرآن هو البلاغة والأدب، إذ بلغ ذروته آنذاك.

إقرار واعتراف

لقد أقرّ بلغاء العرب حتّى المشركين بإعجاز القرآن، فهذا الوليد بن المغيرة المخزوميّ يقول: «والله لقد سمعت من محمّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يُعلى عليه»[١].

وعتبة بن ربيعة، والطّفيل بن عمرو- بأنّ القرآن بلغ الغاية في فصاحته وبلاغته وبتفوّقه على أرقى النّتاجات الأدبيّة والبلاغيّة البشريّة[٢].

وبعد قرن من نزوله حاول بعض المنافقين والزنادقة – أمثال ابن أبي العوجاء وابن المُقَفَّع وأبي شاكر الدّيصاني وعبد الملك البصريّ – أن يجرّبوا حظّهم في معارضة القرآن ومجاراته، وقد بذلوا كلّ ما في وسعهم خلال عام واحد في هذا المجال، ولكنّهم أخيراً اعترفوا بعجزهم أمام القرآن الكريم، وحين اجتمعوا في المسجد الحرام ليتدارسوا أعمالهم وجهودهم خلال ذلك العام، مرّ عليهم الإمام الصّادق عليه السلام وتلا عليهم هذه الآية الشّريفة: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٣].

ب- أمّيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ القرآن الكريم- بالرّغم من صغر حجمه نسبيّاً- كتاب يشتمل على مختلف أنواع المعارف والعلوم والأحكام والتّشريعات الفرديّة والاجتماعية، ويحتاج البحث عن كلّ قِسم منها، ودراستها دراسة كاملة إلى جماعات متخصّصة تبذل كلّ جهودها العلميّة وخلال أعوام طويلة، ليكتشفوا- بالتدريج- بعض كنوزها وأسرارها المخبوءة، وليتوصّلوا- من خلال ذلك- إلى حقائق أكثر، وإن كان اكتشاف كلّ حقائقه وأسراره وكنوزه لا يتيسَّر إلّا لأولئك الّذين يمتلكون العلم والتأييد والمدد الإلهيّ. إنّ

(١)- مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٩-١٠، ص ٣٨٧.

(٢)- أعلام الورى، ص ٢٧ و ٢٨، وص ٤٩، وسيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٩٣ وص ٤١٠.

(٣)- ٨٨/ الإسراء، وانظر تفسير (نور الثقلين) حول هذه الآية.

هذه المجالات المختلفة الّتي استعرضها القرآن الكريم تشتمل على أكثر المعارف دقّةً وسمُوّاً، وأرفع التّعاليم الأخلاقيّة وأكثرها قيمة، وأكمل القوانين الحقوقيّة والقانونيّة والجزائيّة عدالة وإحكاماً، وأثرى المناسك العباديّة والأحكام الفرديّة والاجتماعيّة حكمة، وأكثر المواعظ والنّصائح تأثيراً ونفعاً، وأفضل الحكايات التّاريخيّة عظة وتربية، وأنجع الأساليب التّربويّة والتّعليميّة.

وبإيجاز فإنّه يشتمل على كلّ الأصول والمبادئ الّتي يحتاجها البشر من أجل تحقيق سعادتهم الدّنيويّة والأخرويّة. ولقد امتزج كلّ ذلك بأسلوب رائع بديع لم يسبق له مثيل، بحيث يمكن لفئات المجتمع- جميعاً- الاستفادة والتّزوّد منها، كلٌّ بحسب استعداده وقابليّته.

بيت القصيد

إنّ جمع كلّ هذه المعارف والحقائق في مثل هذا الكتاب يفوق قدرة البشر العاديّين، ولكن ممّا يزيد الدّهشة والإعجاب أكثر، أنّ هذا الكتاب العظيم ظهر على يد إنسان لم يعرف الدّرس والتّعلّم خلال حياته أبداً، ولم يمسك- يوماً- بيده قلماً وقرطاساً، وقد نشأ في محيط بعيد عن الحضارة والثّقافة. والأعجب من ذلك أنّه لم يسمع منه- خلال أربعين عاماً قبل بعثته- مثل هذا الكلام المعجز، وخلال أيّام رسالته وبعثته أيضاً كان ما يصدر منه من آيات قرآنيّة ووحي إلهي يتميّز بسبكه وأسلوبه الخاصّ، وهو يختلف- تماماً- عن سائر كلامه وأحاديثه، وهذا الفرق الواضح بين هذا الكتاب وسائر أحاديثه مشهود وملموس للجميع.

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الأمور فيقول: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(١).

وفي آية أخرى يقول: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

ج- التناسق وعدم الاختلاف: إنّ القرآن الكريم كتاب نزل خلال ثلاثة وعشرين عاماً من حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي فترة شهدت مرحلة مضطربة مليئة بالحوادث الملتهبة، وزخرت بالكثير من التّحدّيات والمحن والحوادث المرّة والسّعيدة، ولكن كلّ هذه المتغيّرات والمؤثّرات لم يكن لها

(١)- ٤٨/ العنكبوت.

(٢)- ١٦/ يونس.

أيّ تأثير في تناسق محتويات القرآن وأسلوبه المعجز. ويشكّل هذا التّناسق وعدم الاختلاف في شكله ومضمونه جهة أخرى من جهات إعجازه. وقد أشير إليها كما أشير للعلامتين السّابقتين في القرآن الكريم: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[1].

وتوضيحه: إنّ كلّ إنسان يواجه- على الأقلّ- نوعين من المتغيّرات.

1. **إنّ معلوماته وخبراته تأخذ بالتّزايد والنّمُوّ**، وهذا النّمُوّ والزّيادة في ثقافته ومعلوماته وخبراته وقدراته تنعكس وتؤثر في أحاديثه وكلامه، وبطبيعة الحال، سوف يبرز الاختلاف الواضح بين أحاديثه خلال عشرين عاماً.

2. **إنّ حوادث الحياة المختلفة تؤدّي إلى ظهور حالات نفسيّة ومشاعر** وأحاسيس مختلفة، أمثال: اليأس والأمل، والفرح والحزن، والقلق والهدوء، ولمثل هذا الاختلاف في الحالات تأثير كبير في تفكير المرء وفي أقواله وأفعاله، وبطبيعة الحال، مع اشتداد هذه التغيّرات واتساعها فإنّ أحاديثه سوف يطرأ عليها اختلاف كبير. وفي الواقع إنّ تغيّرات الكلام خاضعة لتغيّرات الحالات النفسيّة، وهي بدورها خاضعة لتغيّر الظّروف الطّبيعيّة والاجتماعية. فإذا افترضنا أنّ القرآن الكريم من اختراع النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه كإنسان خاضع لكلّ المتغيّرات المذكورة، فمع ملاحظة الظّروف المتغيّرة الحادّة الّتي شهدتها حياته، فلا بدَّ أن تظهر في كلامه اختلافات كبيرة في شكله ومحتواه، مع أنّه لم يشاهد أيّ أثر لمثل هذه الاختلافات.

إذاً، فهذا الانسجام وعدم الاختلاف في مضامين القرآن، وفي مستوى بلاغته المعجز، يعدّ علامة أخرى على صدور هذا الكتاب الشّريف من مصدر العلم الثّابت واللّامتناهي لله تعالى، الحاكم على الطّبيعة وغير المحكوم لكلّ الظّواهر مهما اختلفت وتغيّرت.

ملاحظة

لقد اقتضت الحكمة والعناية الإلهيّة أن تكون معجزة كلّ نبيّ متلائمة مع العلم والفن الشائع في ذلك الزمان، حتّى يدرك جيّداً امتيازها وتفوّقها المعجز على كلّ المحاولات والمنجزات البشريّة؛ لأنّ إقرار أصحاب العلم وأرباب الفنّ بعجزهم عن مجاراة المعجزة، كافٍ في إثبات إعجازها بالنّسبة لعامّة النّاس.

---

(١)- ٨٢/ النساء.

الإمام الهادي عليه السلام وابن السكّيت

لقد أجاب الإمام الهادي عليه السلام ابن السكّيت عندما سأله: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السّحر؟ وبعث عيسى بآلة الطبّ؟ وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام بالكلام والخطب؟.

فقال الإمام عليه السلام: «إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السّحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزّمانات، واحتاج النّاس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وأنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم»[1].

خلاصة الدرس

هناك عناصر عدّة لإعجاز القرآن الكريم، منها:

أ- فصاحة القرآن وبلاغته: من حيث ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه وملاحظة مقتضى الحال.

وقد أقرّ بلغاء العرب حتّى المشركين منهم بإعجاز القرآن المجيد، كالوليد بن المغيرة المخزومي وعتبة بن ربيعة، والطفيل بن عمرو وغيرهم.

ب- أمّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ما يؤكّد إعجاز القرآن البلاغي والفصاحي والمضموني؛ أنّ هذا الكتاب العظيم ظهر على يد إنسان لم يعرف الدرس والتعلّم خلال حياته أبداً، ولم يمسك قلماً وقرطاساً، وقد نشأ في محيط بعيد عن الحضارة والثقافة.

ج- التناسق وعدم الاختلاف: حيث إنّ القرآن الكريم وعلى مدى ثلاثة وعشرين عاماً- مدّة نزوله- لم يطرأ على تناسقه وروحه أيّ اختلاف رغم الظروف المتباينة والحالات النفسيّة والمشاعر والأحاسيس المختلفة.

---

(١)- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٤.

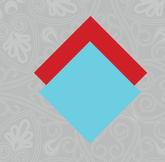
أسئلة حول الدرس

1. تحدّث حول إعجاز القرآن الكريم من جهة الفصاحة والبلاغة (باختصار.

2. كيف نستفيد من أميّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إعجازَ القرآن الكريم؟

3. تحدّث حول التناسق وعدم الاختلاف، وكيفيّة دلالته على الإعجاز القرآني.





الدرس الثاني عشر:

التبرك بآثار النبي (ص) وأهل بيته والصالحين

التبرّك لا ينافي التوحيد:

جرت سيرة الموحدين على التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وجرت سيرة المسلمين على التبرك بآثار الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته (ع).

والتبرك بالآثار يكون لـــ:

١. **تطبيق مبدأ الحب والمودة للرسول (ص) وأهل بيته** ويكون تجسيد هذه المحبة والمودة بطرق مختلفة كتقبيل الأضرحة والمنبر والأبواب وغيرها.

٢. **طلب أثر معنوي وضعه الله تعالى في الشيء المتبرك به** كما في التبرك بماء زمزم وكسوة الكعبة وسؤر المؤمن وغير ذلك.

٣. **طلب الشفاء الذي وردت حوله روايات تبيّن أن في هذا الشيء** شفاء كما في ماء زمزم وماء ميزاب الكعبة وتربة الإمام الحسين(ع)

التبرك لا يعدّ شركًا:

والتبرك بالآثار سواءً كان تطبيقاً لمبدأ الحب أو لطلب أثر معنوي أو للشفاء لا يُعدُّ شركاً بعد أن عرفت أن الشرك إنّما هو الاعتقاد بالألوهية أو الربوبية للمخضوع له، أو أنّ هذا الشيء يستطيع أن ينفعك أو يضرك من دون إذن الله تعالى.

وكل المسلمين الذين يتبركون بآثار النبي وأهل بيته والصالحين لا يعتقدون ألوهية أو ربوبية أحد منهم، ولا أنهم يستطيعون فعل شيء بدون إذن الله تعالى وقدرته، وإنّما هم عباد مكرمون، قد خصّهم الله تعالى بكرامته وفضله. والمسلمون إنّما يتعبّدون الله بما ورد في الشرع حول التبرك بآثار الأنبياء والأولياء.

التبرك في القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم يذكر أن النبي يوسف على نبينا وآله وعليه السلام أمر البشير أن يذهب بقميصه إلى أبيه وقال: ألقوا قميصي على وجهه فيعود بصيراً والله سبحانه وتعالى يحكي عن يوسف: ﴿

اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]. وقال تعالى:﴿ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

والآيات صريحة في أن يعقوب تبرك بقميص ابنه يوسف، ولا شكّ أنّ قميص يوسف كان من القطن، والقطن كالحديد الذي يصنع منه الأضرحة والأبواب، والقطن والحديد لا يؤثران في رفع المرض وكشف الكربة ولكنه سبحانه وتعالى تكريماً للنبي يمنّ على المريض بالشفاء بعد التبرك به.

الأحاديث والتبرك:

وردت أحاديث كثيرة حول التبرك ومنها:

1. ما ورد في البخاري قال: (لمّا خرج رسول الله (ص) بالهاجرة فأتى بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه ويتمسحون به.

2. إنّ الصحابة كانوا يتبركون بالإناء الذي شرب منه(ص) قال أبو بردة: قال لي عبدالله بن سلام: ألا أسقيك في قدح شرب النبي فيه. [٣]. ويفهم من الرواية أن عبدالله بن سلام كان يحتفظ بذلك القدح للتبرك لشرب رسول الله(ص) منه.

3. كان الصحابة يتبركون بيديه الشريفتين فعن أبي حجيفة: خرج رسول الله بالمهاجرين إلى البطحاء متوضأً ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين -إلى أن قال-: وقام الناس فجعلوا يأخذون بيديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب من المسك[٤].

4. روي مسلم في صحيحه: (أنّ رسول الله (ص) أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ثم قال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه للناس)[٥].

5. روى الحاكم في المستدرك: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته ثم

---

(١)- ٩٣/ يوسف.

(٢)- ٩٦/ يوسف.

(٣)- صحيح البخاري ج٢.

(٤)- البخاري/ج٤.

(٥)- صحيح مسلم/ج٣.

قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري، فقال إني لم آت الحجر وإنما جئت رسول الله، سمعت رسول الله(ص) يقول: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله) [1].

والروايات الواردة في التبرك تتجاوز المائة وذكرنا بعضها.

الخلاصة ..

إن التبرك بآثار الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته (ع) والصالحين من الأمور التي يؤيدها العقل والقرآن الكريم والسنة الشريفة.

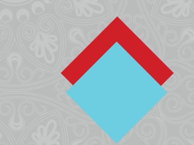
أسئلة حول الدرس

س١ : اذكر بعض فوائد التبرك؟

س٢ : لماذا لا يعتبر التبرك شركاً؟ أثبت ذلك عقلاً وشرعاً.

س٣ : اذكر روايتين حفظتهما تدل على جواز التبرك والحث عليه؟

(١)- مستدرك الصحيحين للحاكم/ج٥.



الدرس الثالث عشر:

التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين

التوسل بالأنبياء والصالحين:

إنّ التوسل بالأنبياء والصالحين في حال حياتهم أو بعد التحاقهم بالرفيق الأعلى من الأمور الرائجة بين الموحدين في جميع الأجيال والقرون إلى يومنا الحالي.

المسلمون والتوسّل:

فأنت ترى المسلمين على اختلاف مذاهبهم بعد انتهائهم من الصلاة لله تعالى في المسجد النبوي الشريف- أو أي ضريح من أضرحة الصالحين- يتوجهون إلى النبي الأعظم (ص) أو إلى أحد الأئمة (ع) أو إلى أولياء الله ويتوسلون بهم لقضاء حوائجهم وطلباتهم المختلفة الدنيوية أو الأخروية لما لهؤلاء من منزلة ومكانة عند الله تعالى لعلّه سبحانه وتعالى يجيب دعوته لأجله وحرمته ومقامه.

شبهات مردودة:

وقد وردت شبهات تمنع التوسل بالأنبياء والصالحين باعتبار أن التوسل بالمخلوق يعتبر شركاً أو عبادة له؟!!.. وهل التوسل عبادة وشرك؟!!

والجواب:

إن العمل أو القول يعتبر شركاً إذا اعتقد بإلوهية أو ربوبيّة المتَوَسَّل به، أو أنه مفوض ويفعل فعل الإله والرب، بأن يكون مستقلاً عن الله تعالى، ويفعل مايشاء من دون مشيئة الله سبحانه وإذنه وقدرته وعطائه.

وطبعاً جميع الموحدين الذين يتوسلون بالأنبياء والصالحين لا يعتقدون أنهم آلهة أو أرباب أو أنهم مفوض إليهم فعل الإله فبذلك يخرج هذا العمل عن الشرك ويدخل في ضمن التوحيد.

وللتوسّل عدّة أشكال وردت في الأحاديث.

أولاً / التوسل بالأنبياء والصالحين أنفسهم.

توسل الضرير بالنبي الأكرم(ص)

عن عثمان بن حنيف أنه قال: أن رجلاً ضريرًاً أتى النبي (ص) فقال: ادع الله أن يعافيني.

فقال(ص): (إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير.

قال: فادعه! فأمره (ص) أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: (اللهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى، اللهم شفّعه فيّ) قال ابن حنيف: والله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضر.

دلالة الحديث:

إنّ الحديث يدل بوضوح على أنّ الأعمى توسل بذات النبي بتعليم منه(ص) فالنبي (ص) علّمَ الضرير دعاء تضمّنَ التوسل بذاته(ص)، فلاحظ كلمة (نبيك) المتعلقة بـ(أسألك) و(أتوجه إليك) المراد من النبي نفسه المقدسة وشخصه الكريم لا دعائه. ولاحظ جملة(يا محمد إني أتوجه إلى ربي) تدل على أن الرجل حسب تعليم الرسول الأعظم (ص) اتخذ النبي نفسه وسيلة لدعائه أي أنه توسّل بذات النبي (ص) لا دعائه.

ثانياً / التوسل إلى الله بحق النبي والأولياء وحرمته ومنزلته:

إن من التوسلات الشائعة بين المسلمين التوسل بمنازل الصالحين وحقوقهم على الله تعالى. فالمسلمون يدعون بحق النبي (ص) وبحق الأولياء ونلاحظ هذا كثيراً عند حضرة النبي(ص)

- في الروضة الشريفة وأنت تقول اللهم إني أسألك بحق أو بجاه أو بحرمة النبي (ص) أن توفقني لما تحب وترضى
- وتقول اللهم إني أسألك بحق أو بجاه أو بحرمة الزهراء وأبيها وبعلها وبنيها أن تجعلني معهم في الدنيا والآخرة وتقول...

التوسل نوع من أنواع التكريم وليس حقًّا ذاتيًا:

وليس معنى ذلك أن للعباد أو لبعضهم على الله تعالى حقاً ذاتياً يلزم عليه سبحانه عدم الخروج عنه بل لله سبحانه الحق كله فله على الناس حق العبادة والطاعة إلى غير ذلك بل المراد المقام والمنزلة التي منحها سبحانه عباده تكريماً لهم وليس لأحد على الله الحق إلا ما جعله الله سبحانه على نفسه

لهم تفضيلاً وتكريماً قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ومن الأحاديث الواردة في هذا النوع من التوسل:

أ/ التوسل بحق السائلين:

روى عطية بن العوفي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، إلاّ أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك)[2]. ويدل الحديث بوضوح على أن للإنسان أن يتوسل إلى الله بحرمة أوليائه الصالحين ومنزلتهم وحقهم وجاههم فيجعلها وسيلة لقضاء حاجته.

ب/ توسل النبي(ص) بحقه وحق من سبقه من الأنبياء:

روى الطبراني بسنده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم الإمام علي(ع)- رضي الله عنها- دخل عليها رسول الله(ص) فجلس عند رأسها فقال: (رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفساً طيباً وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة)، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً فلمّا بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقها ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: (الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين) وكبر عليها أربعاً وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر. والحديث واضح أن النبي(ص) توسل بحقه وحق الأنبياء و الذين من قبله.

---

(١)- ٤٧/ الروم.

(٢)- سند بن ماجه/ج١ و مسند أحمد بن حنبل/ج٣.

الدرس الرابع عشر:

التوسل بدعاء النبي (ص) والأئمة (ع) والصالحين

ثالثاً / التوسل بدعاء النبي (ص) والأئمة (ع) والصالحين:

الاستغاثة والتوسل بالنبي (ص) وأهل بيته (ع) والصالحين مما دأب على عمله المسلمون والموحدون سواءً كان في حياتهم أو بعد مماتهم.

نظرة القرآن الكريم

فالقرآن الكريم يحث المسلمين على المجيء إلى النبي (ص) وطلب الاستغفار منه،

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1] وهذه الآية فيها إطلاق بأخذ التوسل بدعاء النبي (ص) سواءً أكان النبي (ص) في دار التكليف أم في البرزخ- بعد الموت-،

وقال سبحانه وتعالى ناقلاً عن أبناء يعقوب: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[2].

إشكال وردّه:

وقد توهم البعض وقال كيف يمكن الاستغاثة والتوسل بدعاء النبي (ص) والأنبياء بعد موتهم وكيف يمكن الاتصال بهم؟! وللإجابة على ذلك ينبغي ملاحظه أن:

1. **الروح تبقى بعد الموت**، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[3]، فروح النبي (ص) وأهل البيت(ع) أرفع وأسمى من أرواح هؤلاء الشهداء.
2. **الحقيقة الإنسانية هي الروح وليس البدن.**

إمكان الاتصال بالأرواح: فالقرآن الكريم يأمر النبي(ص) بسؤال المرسلين ويقول: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[4].

- وقد تكلم النبي(ص) مع أصحاب القليب المقتولين من كفرة قريش في معركة بدر، وروى ذلك البخاري فقال: وقف النبي على قليب بدر وخاطب الذين قتلوا وألقيت أجسادهم في القليب: لقد كنتم

---

(١)- ٦٤/ النساء.

(٢)- ٩٧/ يوسف.

(٣)- ١٥٤/ البقرة.

(٤)- ٤٥/ الزخرف.

جيران سوء لرسول الله أخرجتموه من منزله وطردتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه وقد وجدت ما وعدني ربي حقاً.

فقال له رجل: يا رسول الله ما خطاب لهام سديت؟ فقال(ص): والله ما أنت بأسمع منهم وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد إلاّ أن أعرض بوجهي-هكذا-عنهم. البخاري/ج٥ باب قتل أبي جهل

• وإن المسلمين جميعاً يخاطبون النبي (ص) بسلام حال التشهد ويقولون: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من زارني في مماتي، كان كمن زارني في حياتي».

خلاصة الأمور الثلاثة:

وفي ضوء هذه الأمور الثلاثة تثبت إمكانية التوسل بالأرواح المقدسة فالأنبياء والأولياء من جانب أحياء يرزقون ومن جانب آخر إن حقيقة الإنسان هي النفس الباقية بعد الموت ومن جانب ثالث إن الأنبياء كلموا الأرواح كل ذلك يدل على إمكانية الاتصال بهم ووقوعه وأنهم يسمعون كلامنا وسلامنا...

من الأحاديث الواردة في التوسل بدعاء النبي(ص) بعد موته:

قال السمهودي قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان في كتاب(مصباح الظلام)، إن الحافظ أبا سعيد السمعاني ذكر فيما روينا علي ابن أبي طالب- رضي الله عنه - قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت من الله سبحانه ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله...﴾ وقد ظلمت وجئتك تستغفر لي[١].

آيتان وتفسير:

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٢].

(١)- وفاء الوفاء/ج٢.

(٢)- ٥٦، ٥٧/ الإسراء.

في الآيتين التوبيخ متوجه إلى المشركين الذين كانوا معتقدين بألوهية معبوداتهم، وأنهم يملكون كشف الضر وتحويل السوء عن الدعاة فالله سبحانه يرد عليهم بأن المدعوين في أشد الحاجة إلى طلب التقرب إلى الله سبحانه فكيف يمكن لهم كشف الضر عنهم؟ ولا توجد أية صلة بين أولئك المشركين المعتقدين بألوهية المدعوين والموحدين الذين يعتقدون بأنه لا يكشف الضر إلا الله ولكنهم يوسطون بينهم وبين ربهم أحد عباد الله الصالحين- اتباعاً لأمر الله بتوسيط دعاء النبي في طلب المغفرة من الله، وأمر العصاة أن يطلبوا منه (ص) الاستغفار، وهم الذين لهم مكانة عند الله لعله يجيب دعوتهم لأجلهم وحرمتهم ومقامهم.

الخلاصة ..

إن التوسل بذوات الصالحين وأنفسهم والتوسل بحقهم ومنزلتهم ومكانتهم والتوسل بدعائهم بعد رحيلهم ووفاتهم من الأمور التي عملها الموحدون والمسلمون في السابق ويعملونها الآن وفي المستقبل استناداً إلى الشرع.

أسئلة حول الدرس

س١ : اثبت أن التوسل بجميع أقسامه ليس شركاً- بناءً على تعريف العبادة-؟

س٢ : لماذا تدعو النبي(ص) وأهل بيته عند حاجتك ولا تدعو الله مباشرة؟

س٣ : اذكر بعض الروايات التي حفظتها للدلالة على جواز التوسل بأقسامه المختلفة؟

س٤ : لو قلت: إلهي بحق محمد وأهل بيته الأطهار(تقبل عملي واجعل اليقين في قلبي...) وسأل شخص هل لأحد على الله حق فبماذا تجيبه؟

س٥ : أنت تقول في صلواتك كل يوم(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فعلى ماذا تدل هذه الجملة؟

الدرس الخامس عشر:

النذر للأولياء والأنبياء ولأهل القبور

معنى النذر:

أن يلزم الإنسان نفسه بأداء شيء معين إذا تحقق هدفه وقضيت حاجته فيقول: (للّه عليّ أن أفعل كذا إذا كان كذا)، مثلاً يقول للّه عليّ أن أختم القرآن إذا نجحت في الامتحان.

فإذا قال الناذر نذرت لفلان أن أفعل كذا وكذا إذا كان كذا ففي قوله مجاز، والمعنى نذرت للّه أن أفعل شيئاً يكون ثوابه لفلان، وإنما تكريما لفلان فإنه يقول أن ثواب نذره معقود لفلان، فكأن النذر له مجازًا بغرض التكريم، فسياق الكلام سياق تكريم، وليس سياق عبودية لفلان أو علان، فكل ماعدا اللّه تعالى هو فقير محتاج اليه سبحانه ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًا، وبحسب الحكم الفقهي فإن هذه الصيغة لا ينعقد بها النذر، ولكن لا يرمى قائلها بالشرك جزافا، فهو لا يتقرب لفلان بهذا النذر، وإنما يتقرب للّه تعالى وحده، ويكرم فلان بتخصيص ثواب النذر له.

ثواب النذر:

وثواب النذر قد يكون لأحد مما يلي:

١. نفس الإنسان الناذر.

٢. شخص ميت.

٣. شخص حي.

حقيقة النذر:

وقد تعارف بين المسلمين أن النذر للّه وإهداء ثوابه لأحد أولياءه وعباده الصالحين.

فإذا ذبح للنبي (ص) أو ولي أو نذر الشيء له فهو لا يقصد إلاّ أن يتصدق بذلك عنه ويجعل ثوابه إليه ويكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة المثاب عليها.

وقد ورد عن سعد أنه سأل النبي(ص) قال: يا نبي اللّه إن أمي قد افتلتت واعلم أنها لو عاشت لتصدقت أفإن تصدقت عنها أينفعها ذلك؟

قال (ص): نعم.

فسأل النبي: أي الصدقة أنفع يا رسول الله؟

قال: الماء.

فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعد. [1]

(اللام في هذه لأم سعد) يقصد بها الجهة التي وجهت إليها الصدقة لا على المعبود التقرب إليه- يعني هذه الصدقة لأم سعد وليس معبودي أم سعد- فقول القائل(ذبحت للنبي) لا يريد أنه ذبحه للنبي (ص) بل يريد أن الثواب له(ص)

النذر في أماكن الأنبياء والصالحين:

هذا من الأمور الجائزة لأن أماكنهم من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء وليست أماكن أوثان أو أصنام،

روي عن ثابت بن الضاحك قال: (نذر رجل على عهد رسول الله (ص) أن ينحر إبلاً بـ (بوانه) فأتى رسول الله فأخبره

فقال النبي(ص): هل كان فيها من يعبد أوثان الجاهلية؟

قالوا: لا.

قال: فهل كان فيه عيد من أعيادهم.

قالوا: لا.

قال(ص) للسائل: أوف بنذرك وإنه لا وفاء في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم). سنة أبي داوود/ج٥.

وروي أيضاً: (إن امرأة أتت النبي(ص) فقالت: يا رسول الله... إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا كان يذبح فيه أهل الجاهلية.

فقال النبي(ص): الصنم؟ **قالت:** لا.

(١)- فرقان القرآن/ص١٣٣.

قال(ص): الوثن؟   قالت: لا.

قال (ص): (فِ بنذرك). [(١)]

الخلاصة ..

جواز النذر للأنبياء والأولياء والصالحين والنذر في أماكنهم من دون أن تكون فيه شائبة شرك.

س١: ما معنى النذر؟

س٢: لرسول الله(ص) علي نذر إذا تزوجت أصلي عليه وآله ١٠٠ مرة، ناقش صيغة هذا النذر؟

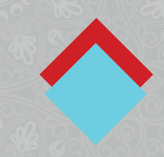
س٣: هل يعتبر النذر لغير الله شرك؟ مع ملاحظة معنى العبادة.

الدرس السادس عشر: الشفاعة يوم القيامة-١

أهداف الدرس:

1. أن يعدد الطالب أنواع الشفاعة.
2. أن يتعرف إلى معنى الشفاعة.
3. أن يحدد شروط الشفاعة.

(١)- سند أبي داوود/ج٢..



الدرس السادس عشر:

الشفاعة

تمهيد

لقد أكرم الله تعالى نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأن تفضّل عليه بمقام الشّفاعة، فجعله واسطة لوصول فيض رحمته تعالى لعباده المذنبين في الدّنيا ويوم القيامة.

أقسام الشفاعة

الشّفاعة نوعان: تكوينيّة وتشريعيّة.

1. **الشّفاعة التكوينيّة:** والمراد منها «توسّط العلل والأسباب بينه تعالى وبين المسبّبات في الواقع الخارجي وتنظيم وجودها حدوثاً وبقاء»، فالشّفاعة في نظام التكوين هي انضمام السبب الطبيعيّ إلى الإرادة الإلهيّة ليتحقّق المسبّب بإذن الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، فهذه الآية وغيرها تدلّ على أنّه لا وجود لشفاعة ولا لتدبير في عالم التّكوين إلّا من بعد إذنه تعالى.

2. **الشّفاعة التّشريعيّة:** والمراد منها «العفو عن المسيء وإسقاط العقاب عنه أو رفع الدرجات له بتوسّط غير الله تعالى ولكن بإذنه تعالى"، وهذه الشّفاعة قد تكون في الدّنيا، كما هو الحال في (الحسنات، والتّوبة، والملائكة، والقرآن والنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّها جميعاً وسائط في رفع العقاب عن المذنب، وقد تحقّقت هذه الشّفاعة في الدّنيا حيث قال تعالى بما يتعلّق بشفاعة النّبيّ والاستغفار في الدّنيا: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2]، ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3].

وهذا القسم من الشّفاعة أيضاً غير مستقلّ في التأثير بل هي شفاعة بإذن الله تعالى، وقد تكون هذه الشّفاعة يوم القيامة وهي المعروفة بالشّفاعة الكبرى، وإليها ينصرف إطلاق لفظ الشّفاعة وهي محلّ الكلام في المقام دون غيرها من الأقسام.

وهذه الشّفاعة هي المقصودة في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿

(١)- ٣/ يونس.

(٢)- ٣٣/ الأنفال.

(٣)- ٦٤/ النساء.

(٤)- سورة الضحى، الآية: ٥.

﴿عَسَى أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[1].

فقد فسّرت الرّوايات الآيتين العطاء المرضي والمقام المحمود بالشّفاعة يوم القيامة، وقد تواترت الرّوايات عن الفريقين في ثبوت الشّفاعة للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى عُدّ من الضّروريّات ففي الحديث المشهور: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[2].

تعريف الشّفاعة المصطلحة

قبل الكلام عن الشفاعة المصطلحة تجدر الإشارة إلى المعنى اللغويّ، وهي مأخوذة من (شفع) وهو خلاف الوتر أي الزوج تقول: كان وتراً فشفعته[3]. أي ضممت إلى الأوّل شيئاً آخر فأصبحا شفعاً.

وأمّا الشّفاعة المصطلحة فهي عبارة عن توسّط النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وغيرهم ممّن ثبت له مقام الشّفاعة بين المؤمنين المذنبين وبين الله تعالى، للعفو والصّفح عن ذنوبهم في الآخرة، فيرفع الله عنهم العذاب أو يرفع درجة ثوابهم بسبب دعاء الشّفيع وطلبه، فيضمّ طلب الشّفيع إلى إيمان المؤمن ليتحقّق الغرض والّذي لا يتحقّق إلّا بهما معاً. وبهذا تكون الشفاعة المصطلحة أحد مصاديق المعنى اللغويّ.

وبعبارة علميّة: إنّ الشّفاعة من متمّمات الأسباب فهي جزء المقتضي، وليست الشّفاعة علّة تامّة لأنّها لا تكون إلّا فيما إذا كان المشفوع له قابلاً في الجملة لرفع العذاب عنه، فلا محلّ للشّفاعة فيما لا قابليّة له أصلاً، فالشّفاعة من الأسباب والعلل المتمّمة للتّأثير، وليست مستقلّة فيه (فحالها حال الجزء الأخير من العلّة)، وهذا الكلام فيه إجمال يحتاج إلى توضيح وذلك ضمن عدّة نقاط:

أ- مورد الشّفاعة

إنّ الشّفاعة تختصّ بالذّنوب الباقية إلى يوم القيامة أي: الّتي لم تغفر ولم يمحى أثرها في الدّنيا من خلال الحسنات والتّوبة مثلاً، وفي الحقيقة لو تمّت المغفرة قبل الموت فإنّه لا يبقى للشّفاعة موضوع من الأساس - من هذه الجهة - فتكون سالبة بانتفاء الموضوع، نعم يبقى محتاجاً لها لرفع درجة الثواب.

(١)- سورة الإسراء، الآية: ٧٩..

(٢)- راجع: تفسير الرازي، ج٣، ص٦٣، وتفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص ٢٠٢..

(٣)- لسان العرب مادة (شفع).

ب- شروط الشّفاعة

1. **أن يكون المشفوع** له مؤمناً إلّا أنّه ارتكب بعض الذّنوب، وهذا في حقيقته هو المقتضي لتحقّق الشّفاعة، وبه تحصل القابليّة للشّفاعة. وأمّا المنكر لله والمشرك به فليس محلّاً للشّفاعة، وذلك لعدم أهليّته لها قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[١].

2. **يُعتبر إذن الله تعالى في مورد الشّفاعة**، فهي تحتاج إلى إذنٍ خاصّ من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ...﴾[٢].

وبدون إذنه تعالى لا يبقى مجال للشّفاعة، ولذلك حصر الله تعالى الشّفاعة بذاته كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ....﴾[٣].

فإنّ الشّفاعة المستقلّة هي لله تعالى، حالها حال الخالقيّة والرّبوبيّة، وأمّا شفاعة غيره تعالى فهي مستمدّة ومأذونة منه تعالى، ومن خلال هذا الشّرط يتّضح المراد من بعض الآيات النّافية للشّفاعة مطلقاً كما في قوله تعالى: ﴿ ...يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ...﴾[٤].

فإنّها تنفي الشّفاعة المستقلّة مطلقاً عن غيره تعالى خاصّة في مقابل من يعتقد بأنّ الأصنام ستشفع له.

وقال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ، فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٥].

أُهليّة الشفاعة:

فالآيات تفيد بأنّ سبب فقدانهم لأهليّة كونهم ممّن يشفع لهم وعدم استحقاقهم لها هو عدم الإيمان بسبب الخوض في الملاهي وزخارف الدّنيا، بحيث حرفتهم عن الإقبال على الله تعالى، وكذلك التّكذيب

(١)- ٤٨/ النساء.
(٢)- ٢٣/ سبأ.
(٣)- ٤٤/ الزمر.
(٤)- ٢٥٤/ البقرة.
(٥)- ٤٢-٤٨/ المدثر.

بيوم الدّين المخرج من الإيمان، ونتيجة ما ذكر أنّ من حافظ على إيمانه وأوجد المقتضي للشّفاعة يكون إيمانه هو السّبب لكونه مرضيّاً، كما قال تعالى: ﴿...وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ...﴾[١]،

وأمّا الذّنوب والمعاصي فتشكّل مانعاً من دخول الجنّة، فتصل النوبة إلى الشّفاعة فتلغي أثر الذّنوب فيرتفع المانع ويتحقّق الغرض منها وهو دخول الجنّة والخلاص من العقاب.

خلاصة الدّرس

- الشفاعة نوعان، تكوينيّة وتشريعيّة.

والمراد بالأولى: توسّط العلل والأسباب بين الله سبحانه وبين المسبَّبات.

والمراد بالثانية: رفع درجة العبد أو إسقاط العقاب عنه بتوسّط شفيع غير الله تعالى ولكن بإذنه.

وهي على نحوين:

1. **في الدنيا:** كما في وجود النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث إنّ هذا الوجود واسطة في رفع العقاب في الدنيا.
2. **في الآخرة:** وهي الشفاعة المصطلحة وهي تعني: توسّط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وغيرهم، ممّن ثبت له مقام الشفاعة، بين المؤمنين المذنبين وبين الله تعالى للعفو عنهم أو رفع درجتهم، وكلّ ذلك بإذن الله سبحانه.

- مورد الشفاعة الذنوب الباقية إلى يوم القيامة، أي الّتي لم تُغفر في الدنيا.

من شروط الشفاعة:

أسئلة حول الدرس

1. عرّف الشّفاعة التكوينيّة والتشريعيّة.
2. ما هي الشّفاعة المصطلحة؟
3. تحدّث باختصار عن شروط الشّفاعة.

---

(١)- ٢٨/ الأنبياء.



الشفاعة يوم القيامة-٢

أهداف الدرس:

1. أن يتعرف الطالب على الشفعاء يوم القيامة.

2. أن يعدد بعض الذنوب المانعة من الشفاعة.

الشفعاء

تقدّم القول بأنّ الشّفاعة بالأصالة والاستقلال هي لله تعالى ولغيره عزَّ وجلَّ بإذنه ورضاه،

وقد أشار القرآن والسنّة إلى عدد من الشّفعاء المأذونين.

منهم: النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقدّمت الإشارة للآيات في سورتي الضُحى والإسراء في المقدّمة- وفي تفسير العياشي عن أحدهما عليه السلام في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(١) ،قال عليه السلام: «الشّفاعة» (٢).

وأخرج مسلم عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: "لكلّ نبيّ دعوة قد دعا بها في أمّته، وخبّأتُ دعوتي شفاعةً لأمّتي يوم القيامة" (٣).

ومنهم: سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ويمكن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٤)، ولا شكّ في أنّ الأنبياء عليهم السلام يشهدون بالحقّ، وهي دليل عامّ يشملهم وغيرهم عليهم السلام.

ومنهم: السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والدليل قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في سبب تسميتها حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «قد فطمها الله وذريّتها عن النّار يوم القيامة»، وفي رواية أخرى: «فطمها ومحبّيها عن النّار»(٥).

ومنهم: الأئمّة عليهم السلام فقد ورد في الرّواية عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه يوم القيامة يأتي قوم يمشي النور بين أيديهم، فيُسألون من أنتم؟ فيجيبون: نحن العلويّون، نحن ذريّة محمّد

(١)- سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢)- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧، ص ١٠٠.

(٣)- صحيح مسلم، ج ١، ص ١٣٢.

(٤)- ٨٦/ الزخرف.

(٥)- ينابيع المودّة، القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٨.

صلى الله عليه وآله وسلم نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون فيجيئهم النّداء: «اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون»([١]).

ومنهم: العلماء والشّهداء والمؤمنون والجيران والسِّقط، ففي الحديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تستخفّوا بفقراء شيعة عليّ عليه السلام وعترته من بعده، فإنّ الرّجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر»[٢].

وفي الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "ثلاثة يشفعون إلى الله عزَّ وجلَّ فيشفّعون: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشّهداء"[٣].

بيان:

إنّ الشّفيع المطلق بعد الباري عزَّ وجلَّ هو النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولذا صار شهيداً على الجميع قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء ....﴾[٤]

فالشّفاعة تنزل على نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومنه إلى غيره، وكذلك لكلّ طائفة من الشّفعاء مستوىً ودرجة تناسب مقدار كماله وقربه من الله تعالى.

ما هي الغاية والحكمة من إعطائهم مقام الشّفاعة؟

والجواب: هو أنّه بعدما أُثبتت الشّفاعة بالدّليل، لزم الاعتقاد بها، بغضّ النظر عن إدراك الغاية ومعرفة الحكمة.

مع أنّه يمكن أن تكون الحكمة منها هو تكريمهم عليهم السلام، وإظهار فضلهم وبيان مرتبتهم.

المرحلة الرابعة: الذّنوب المانعة من الشّفاعة:

إنّ الشّفاعة تنال كبائر الذنوب إلّا أنّ هناك بعض الذّنوب الّتي لا تنالها الشّفاعة.

---

(١)- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٨، ص٣٦.

(٢)- م.ن، ج٧٥، ص٥٩.

(٣)- الخصال، الشيخ الصدوق، ص ١٥٦، ح١٩٧.

(٤)- ٨٩/ النحل.

منها: الاستخفاف بالصلاة ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته»[١]، وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصّلاة»[٢].

ومنها: سوء الخلق، فعن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إيّاكم وسوء الخلق، فإنّ سوء الخلق في النّار لا محالة»[٣].

ومنها: الإسراع والمبادرة إلى ارتكاب المعاصي اتّكالاً على الشّفاعة كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته لأحبّائه «من سرّه أن ينفعه شفاعة الشّافعين فليطلب إلى الله أن يرضى عنه»[٤]، أي: ينبغي أن يكون الإنسان مراقباً لنفسه ولا يغفل عنها اعتماداً على الشّفاعة فقد لا ينالها إذا ارتكب ما يسخط الله.

ومنها: إنكار الشفاعة: ورد عن الإمام علي عليه السلام: «من كذّب بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تنله»[٥].

ومنها: النّاصب العداء لأهل البيت عليهم السلام: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن ليشفع لحميمه إلّا أن يكون ناصباً، ولو أنّ ناصباً شفع له كلّ نبيّ مرسل وملك مقرّب ما شفّعوا»[٦].

ورغم هذا البيان المطوّل للشّفاعة، إلّا أنّه بقي الكثير ممّا لا يسع المجال لذكره.

الشفاعة تخضع لقوانين وشروط:

وقد بان أنّ الشفاعة ليست من نوع الشّفاعة السيّئة والواسطة الّتي يرفضها العرف والعقلاء، بل هذه الشّفاعة صحيحة ومقبولة عند العقلاء؛ لأنّها ليست عبثاً ولا جزافاً، بل هي خاضعة لقوانين وضوابط بحيث لا تميّز بين شخص وآخر، إلّا إذا كان محقّقاً لأهليّة واستحقاق الشفاعة.

---

(١)- وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٤، ص ٢٢، ح١٠.

(٢)- م . ن، باب تحريم إضاعة الصلاة ح ٦.

(٣)- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٦٨، ص ٣٨٦.

(٤)- قرب الإسناد، الحميري القميّ، ص٦٤، ح ٢٠٣.

(٥)- عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٧١، ح ٢٩٢.

(٦)- بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٨، ص٤١.

كما أنّه لا يلزم من هكذا شفاعة الجرأة على ارتكاب المعاصي، بل هي دعوة للإنسان لتحقيق مقتضاها ورفع موانعها، فحالها حال التّوبة، فكما أنّ التّوبة المجمع على ثبوتها لا تستدعي الجرأة على الله فكذلك الشفاعة، وكما أنّ التّوبة فتحت أبواب الأمل والرّجاء وشكّلت دافعاً لعدم اليأس من روح الله فكذلك الشّفاعة. ولا فرق بينهما إلّا أنّ التّوبة محلّها الحياة الدنيا، والشّفاعة محلّها الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، رزقنا الله وجميع المؤمنين شفاعة سيّد المرسلين وبضعته وأهل بيته الميامين صلوات الله عليهم أجمعين.

خلاصة الدرس

من الشفعاء يوم القيامة: النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام والأئمّة عليهم السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام، والعلماء والشهداء والمؤمنون.

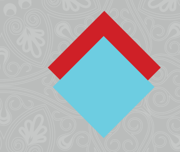
- **الشفاعة تنال كبائر الذنوب**، إلاّ أنّ هناك بعض الذنوب لا تنالها، منها:

الاستخفاف بالصلاة وسوء الخُلُق، والاستهانة بالذنوب اتّكالاً على الشفاعة، وإنكار الشفاعة، ونصب العداء لأهل البيت عليهم السلام.

- الشفاعة كما التوبة لا تعني الجرأة على المعاصي، فربّ عاصٍ لا تقبل منه توبة ولا شفاعة، فعلى الإنسان أن لا يترجّح رجاؤه على خوفه، وعليه بالعمل والجدّ ليُحقّق أسباب الشفاعة وشرائطها ورفع الموانع الّتي تحول دون حصوله على الشفاعة.

أسئلة حول الدرس

1. عدِّد بعضاً من الشفعاء يوم القيامة.
2. ما هي الذنوب الّتي لا تنالها الشّفاعة؟
3. هل الشّفاعة تعني الواسطة بالمعنى السيّئ، ولماذا؟



الدرس الثامن عشر:

أدلّة المعاد

أهداف الدرس:

1. أن يستذكر الطالب برهان الحكمة على إثبات المعاد.

2. أن يستذكر برهان العدالة على إثبات المعاد.

المرحلة الثالثة: إثبات المعاد

إنّ الاعتقاد بالمعاد، وإحياء النّاس جميعاً في عالم الآخرة، من أهمّ الأصول العقائديّة في جميع الأديان السّماويّة. وقد أكّد الأنبياء عليهم السلام كثيراً على هذا الأصل، وتحمّلوا الكثير من المتاعب والتّحديات في سبيل ترسيخ هذه العقيدة في النّفوس وتثبيتها. وقد اعتبر القرآن الكريم الاعتقاد بالمعاد عِدْلاً وقريناً للاعتقاد بالتّوحيد؛ ولذلك جمع في ما يتجاوز العشرين آية كلمات (الله) و(اليوم الآخر)، أحدهما في سياق الآخر، (إضافة إلى أنّ القرآن الكريم تحدّث عن شؤون الآخرة وأحوالها في أكثر من ألفي آية في سوره المختلفة.

حقيقة الإنسان بالروح:

وقد تمّ التّعرّض في بداية هذا الفصل لأهميّة البحث في معرفة العاقبة والمصير، واتّضح بأنّ التصوّر الصحيح للمعاد يبتني على الاعتراف بموجود آخر غير البدن به تتحقّق هويّة كلّ إنسان وحقيقته لا بالبدن المادّي. وهذا الموجود هو الروح، وأنّها ستبقى بعد الموت حتّى يمكن القول: بأنّ ذلك الشّخص الّذي مات في الدّنيا هو الّذي ردّت له الحياة في عالم الآخرة مرّة أخرى. وبعد ذلك جرى البحث في إثبات هذه الرّوح عن طريق العقل والوحي. كلّ ذلك، من أجل تمهيد الطّريق لدراسة البحوث الرّئيسة والأصليّة حول الحياة الأبديّة للإنسان، والآن حان الوقت للبحث في إثبات هذا الأصل العقائديّ المهمّ.

وكما تمّ إثبات مسألة الرّوح من خلال طريقي العقل والنقل، فإنّ هذه المسألة أيضاً يمكن إثباتها من خلال هذين الطّريقين.

الأدلّة العقليّة:

1. برهان الحكمة

لقد خلق الله تعالى الكون وما فيه؛ لكي تتوفّر الأرضيّة الملائمة لخلق الإنسان- وهو أكمل الموجودات-.

والإنسان مركّب من بدن فانٍ، ومن روح قابلة للبقاء، ويمكنه الحصول على الكمالات الأبديّة الخالدة المرتبطة بالرّوح، تلك الكمالات الّتي لا يمكن مقارنتها بالكمالات المادّيّة من حيث الدّرجة والقيمة الوجوديّة، بل تتفوّق عليها، فإذا انحصرت حياة الإنسان بهذه الحياة الدّنيويّة، فإنّ ذلك لا يتلائم مع الحكمة الإلهيّة بل ينافيها ويلزمه العبث، وخاصّة مع ملاحظة اقتران الحياة الدّنيويّة بالمتاعب والمشاقّ والمصاعب الكثيرة، ولا يمكن الحصول على لذّة غالباً بدون معاناة ومشقّة وتعب بحيث تَوَصّل الإنسان لهذه النتيجة: وهي أن الحصول على تلك اللّذّات الضئيلة لا يساوي شيئاً مقارنة مع المتاعب والمصاعب الّتي يتحمّلها الإنسان في سبيل الحصول عليها. إضافةً إلى أنّه لولا وجود يوم القيامة- أي المعاد- لكان وجود غريزة حبّ البقاء والخلود الّتي أودعها الخالق في فطرة الإنسان، عبثاً وبلا فائدة، إذ كيف يتلاءم إيجاد مثل هذه الغريزة مع القول بأنّ مصير الإنسان هو الفناء والتلاشي.

إذاً، فوجود هذا الميل الفطريّ للبقاء إنّما يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة فيما لو وجدت حياة أخرى غير هذه الحياة المحكوم عليها بالموت والفناء.

والحاصل، من خلال ضمّ إحدى هاتين المقدّمتين إلى الأخرى- أي: الحكمة الإلهيّة وإمكان الحياة الأبديّة للإنسان- نتوصّل إلى هذه النتيجة وهي: أنّه لا بدَّ من وجود حياة أخرى للإنسان وراء هذه الحياة الدّنيويّة المحدودة القصيرة، حتّى لا يتنافى وجوده مع الحكمة الإلهيّة.

ويتّضح أيضاً أنّ الحياة الأبديّة للإنسان لا بدَّ لها من نظام آخر، مغاير لنظام الحياة الدّنيويّة المستلزمة للمتاعب الكثيرة، وإلّا فإنّ استمرار هذه الحياة الدّنيويّة بكلّ مستلزماتها ومتاعبها، حتّى لو كانت مؤبّدة خالدة لا يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة.

2. برهان العدالة

إنّ النّاس أحرار في هذا العالم في اختيار وممارسة الأعمال الحسنة أو السيّئة. فمن جانب نلاحظ بعض الأفراد يقضون أعمارهم كلّها في عبادة الله وخدمة عباده ومن جانب آخر، نلاحظ بعض الأشرار والمجرمين يرتكبون- من أجل الوصول لنزواتهم وأطماعهم الشّيطانيّة- أبشع أنواع الظّلم وأفظع ألوان الذّنوب، بل إنّ الهدف من خلق الإنسان في هذا العالم، وتجهيزه بأنواع الميول المتضادّة، وبقوّة الإرادة والاختيار، وبأنواع المعارف العقليّة والنّقليّة وتوفير الأجواء والظّروف للأفعال المختلفة، وجعله على مفترق طريقين، الحقّ والباطل، والخير والشّر، الهدف من ذلك كلّه أن يكون معرضاً

للاختبارات والابتلاءات العديدة، وليختار مسير تكامله بإرادته واختياره، حتّى يصل إلى نتائج أفعاله الاختياريّة، وثوابها أو عقابها. وفي الواقع إنّ الحياة الدّنيويّة بكاملها جعلت للإنسان دار ابتلاء واختبار، وبناء لهويّته الإنسانيّة، حتّى في أواخر لحظات حياته وعمره، لا يُعفى من هذا الامتحان والتّكليف وممارسة وظائفه المقدورة له.

ولكنّنا نرى أنّ كلاً من الأخيار والأشرار لا يصلون في هذه الدّنيا إلى الثّواب والعقاب الملائم لأعمالهم، بل إنّنا نرى الكثير من الأشرار والمجرمين يحصلون أكثر من غيرهم على النّعم والملذّات. إضافة إلى أنّ الحياة الدّنيويّة لا تستوعب الثّواب أو العقاب على الكثير من الأعمال والتّصرفات. فمثلاً: ذلك المجرم الّذي قتل آلاف الأبرياء لا يمكن الاقتصاص منه في هذه الدّنيا إلّا مرّة واحدة وبطبيعة الحال سوف تبقى الكثير من جرائمه بدون عقاب، مع أن مقتضى العدل الإلهيّ أن يتحمّل حتّى من ارتكب أقلّ الأعمال الحسنة أو السيّئة نتائجها وجزائها.

إذاً فكما أنّ هذا العالم دار اختبار وتكليف، فلا بدَّ من وجود عالم آخر، يُعتبر دار ثواب وعقاب، وظهور نتائج الأعمال فيه، ليصل كلّ فرد إلى ما يتلائم وأعماله، لتتجسّد العدالة الإلهيّة عمليّاً بذلك![1].

ومن خلال ذلك يتّضح أيضاً بأنّ عالم الآخرة ليس عالم اختيار الطّريق أو ممارسة التّكاليف، بل هو عالم حصد النتائج كما ورد في الحديث: «الدّنيا مزرعة الآخرة».

خلاصة الدرس

- **من الأدلّة العقلية على المعاد:**

1. **برهان الحكمة**

إنّ لكلِّ مخلوق كماله اللائق به- حسب حكمة الله تعالى- فكمال الحيوان والنبات غيره في الإنسان. فالنبات مثلاً ليس لها معاد لأنّها أخذت كمالها في الدنيا، بخلاف الإنسان فإنّ كماله التّام لا يظهر في الدنيا، لأنّها مكان نقص ومشاق، وأقصاها كمالات مادّيّة، وفي المعاد تصل روح الإنسان الباقية إلى كمالها واستعداداتها؛ فلو كان هناك فناء لكان خلق الروح عبثاً.

(١)- مع ملاحظة أن العدالة في الواقع من مصاديق الحكمة، فيمكن أن نعتبر هذا البرهان من أنواع الاستدلال عن طريق الحكمة الإلهية.

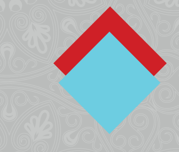
2. **برهان العدالة:**

إذا ثبت أنّ خلق الإنسان ليس عبثاً ولعباً بل هو في مكان اختبار وامتحان إن أحسن فله ثوابه وإن أساء فله عقابه؛ إذ إنّ العدل الإلهي يوجب أن لا يعامل المحسنون والمسيئون في مقام الجزاء على شكل واحد، ومن جانب آخر لا يُمكن تحقّق العدالة الكاملة بالنسبة إلى الثواب والعقاب في الحياة الدنيويّة، فكم من محسن لم يُلاق ثواباً في هذه الدنيا بل بعض المحسنين عوقبوا من مجتمعهم، وكم من ظالم ومسيء لم يُلاق عقاباً بل لاقى تكريماً، إذاً: لا بدّ من محكمة إلهيّة عادلة في المعاد تُحقِّق العدالة.

أسئلة حول الدرس

1. كيف يمكن إثبات المعاد من خلال الحكمة الإلهيّة؟
2. كيف يمكن إثبات المعاد من خلال العدالة الإلهيّة؟
3. هل يتّحد نظام عالم الآخرة مع نظام الحياة الدّنيا، ولماذا؟





الدرس التاسع عشر:

شبهات وردود

أهداف الدرس:

1. أن يجيب الطالب على شبهة إعادة المعدوم.

2. أن يجيب على شبهة عدم قابلية البدن للحياة الجديدة.

3. أن يجيب على شبهة تحلّل الأبدان في التراب.

المرحلة الرابعة: الردّ على شبهات المنكرين للمعاد

هناك جملة من الشبهات الّتي تمسّك بها المنكرون للمعاد قديماً وحديثاً، وقد أُجيب عليها في علم الكلام، ومعظم الإجابات والردود استفيدت من القرآن الكريم الّذي تصدّى لإثبات المعاد والردّ على المنكرين له، وسيتّم في هذا الدرس عرض أهمّ الشّبهات مع الردّ عليها.

1. شبهة إعادة المعدوم

أشرنا سابقاً إلى أنّ القرآن الكريم أجاب أولئك الّذين كانوا يقولون: كيف يحيى الإنسان من جديد بعد أن يضمحلّ ويتلاشى بدنه؟ بما مفاده: أنّ هويّتكم قائمة بروحكم، لا بأعضاء بدنكم الّذي يتفرّق في الأرض. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ× قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[1].

ويُمكن أن يكون الدافع لإنكار الكفّار المعاد هو تلك الشبهة الّتي يعبّر عنها في الفلسفة بـ (استحالة إعادة المعدوم)، أي: إنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بأنّ الإنسان هو هذا البدن المادّيّ الّذي يتلاشى وينعدم بالموت، وإذا رُدّت له الحياة من جديد بعد الموت، فهو إنسان آخر، شبيه بالأوّل إذ إن إعادة المعدوم أمر محال وممتنع.

ويتّضح الجواب عن هذه الشبهة من القرآن الكريم، وأنّ الهوية الشّخصيّة لكلّ إنسان وحقيقته متمثّلة بروحه، وبعبارة أخرى: إنّ المعاد ليس من إعادة (المعدوم)، بل عودة (الروح الموجودة) إلى البدن. فنفس الدّليل العقلي والقرآني المثبت لوجود الروح يُشكّل ردّاً على هذه الشبهة.

2. شبهة عدم قابليّة البدن للحياة الجديدة

(١)- ١١/ السجدة.

الشّبهة السّابقة كانت مرتبطة بالإمكان الذّاتيّ للمعاد، أمّا هذه الشّبهة فهي ناظرة لإمكانه الوقوعيّ، بمعنى: أنّ عودة الرّوح للبدن وإن لم تكن محالاً عقلاً، ولا يلزم التناقض من افتراضها، ولكن وقوع العودة فعلاً وخارجاً مشروط بقابليّة البدن، ونحن نرى أنّ حصول الحياة منوط بشروط وأسباب خاصّة، لا بدَّ من توفّرها تدريجيّاً، فمثلاً: لا بدَّ من أن تستقرّ النّطفة في الرّحم، ولا بدَّ أيضاً من توفّر شروط مناسبة لنموّها وتكاملها، لتصبح جنيناً متكاملاً بالتّدريج، ولتكون بصورة إنسان، ولكنّ البدن الّذي يتلاشى يفقد قابليّته واستعداده للحياة.

والجواب: إنّ النّظام المشهود في عالم الدّنيا، ليس هو النّظام الوحيد، والشّروط والأسباب الّتي نتعرّف عليها من خلال التّجربة ليست أسباباً وعللاً منحصرة، والشّاهد على ذلك وقوع بعض الظّواهر والحوادث الحياتيّة الخارقة للعادة في هذا العالم نفسه، أمثال إحياء بعض الحيوانات أو النّاس، بغير الطريق المعهودة ومنها بعض الظّواهر الخارقة للعادة الّتي تحدّث عنها القرآن الكريم، كناقة صالح، وطير النّبيّ إبراهيم عليه السلام وغير ذلك.

3. الشّبهة في مجال قدرة الفاعل

يشترط في وقوع أيّة ظاهرة من الظّواهر وتحقّقها: قدرة الفاعل على ذلك، إضافة للإمكان الذّاتي وقابليّة القابل، فمن أين نعرف أنّ الله تعالى يملك القدرة على إحياء الموتى؟!

وهذه الشّبهة، إنّما تطرح من قبل أولئك الّذين يجهلون قدرة الله اللّامتناهية.

والجواب: إنّ القدرة الإلهيّة ليس لها حدود، بل تتعلّق بكلّ شيء ممكن الوقوع، كما هو الملاحظ بأنّه تعالى خلق هذا الكون الواسع بكل ما يتمتّع به من عظمة مثيرة للدّهشة والإعجاب: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(1).

إضافة إلى أنّ الخلق الجديد ليس أكثر صعوبة من الخلق الأوّل، ولا يحتاج إلى قدرة أكبر، بل هو أهون وأسهل، لأنّ الإيجاد من العدم أصعب من الإعادة بعد الموت: ﴿... فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾(2).

(1)- ٣٣/ الأحقاف. وانظر السور التالية: يس، الآية: ٨١، الإسراء، الآية: ٩٩، الصافات، الآية: ١١، النازعات، الآية: ٢٧.

(2)- ٥١/ الإسراء. وانظر السور التالية: العنكبوت، الآيتان: ١٩-٢٠، ق، الآية: ١٥، الواقعة، الآية: ٦٢، يس، الآية: ٨٠، الحج، الآية: ٥، الطارق، الآية: ٨.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ....﴾[1].

4. **الشّبهة في مجال علم الفاعل** إذا أراد الله إحياء النّاس، ومجازاة أعمالهم ثواباً أو عقاباً فيلزم من جانب أن يمّيز بين الأبدان الّتي لا تعدّ ولا تحصى، ليعيد كلّ روح إلى بدنها، ومن جانب آخر، لا بدَّ من أن يتذكّر جميع الأعمال الحسنة والسّيئة، ليجازي كلًّا منها بما تستحقّه من الثّواب أو العقاب، ولكن كيف يمكن التمييز والتّعرف على الأبدان الّتي تحوّلت إلى تراب، واختلطت ذراتها وأجزاؤها؟ وكيف يمكنه أن يضبط ويتذكَّر أعمال البشر كلّها خلال الآلاف بل الملايين من السّنين ليحاسبها؟

وهذه الشّبهة طرحها أولئك الّذين يجهلون العلم الإلهيّ غير المتناهي، حيث قاسوا العلم الإلهيّ بعلومهم النّاقصة المحدودة.

والجواب: إنّ العلم الإلهيّ ليس له حدود، وله إحاطة بكلّ شيء، ولا ينسى الله تعالى أيّ شيء.

وينقل القرآن الكريم عن فرعون قوله لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[2] فقال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[3].

وقد ذكر تعالى في آية أخرى الجواب عن الشبهتين الأخيرتين بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[4].

خلاصة الدرس

- **من شبهات منكري المعاد**

1. **شبهة إعادة المعدوم**، ولكن يُردّ بأنّ الذي يعود هو الروح الباقية الّتي أثبتنا بقاءها وأنّها تُمثّل حقيقة الإنسان والبدن واسطة لإيصال الثواب والعقاب.

2. **شبهة عدم قابلية البدن للحياة الجديدة**، ولكن يُردّ بأنّ النظام المشهود في الدنيا ليس هو النظام الوحيد، والأسباب والشروط الّتي نتعرّف عليها في الدنيا ليست منحصرة.

---

(١)- ٢٧/ الروم.
(٢)- ٥١/ طه.
(٣)- ٥٢/ طه. وتراجع أيضاً: سورة ق، الآيات ٢-٤.
(٤)- ٧٩/ يس.

فالبدن صحيح أنّه في الدنيا يحتاج إلى شروط خاصّة وتدرّج من كونه نطفة في الرحم إلى آخر مراحله؛ إلاّ أنّ هذه الشروط ليست منحصرة كما نرى في الظواهر الخارقة للعادة.

3. **شبهة استبعاد قدرة الخالق**، ولكن يُردّ أنّ قدرة الله تعالى غير محدودة، فهي تتعلّق بكلّ شيء ممكن الوقوع، ثمّ إنّ الخلق الجديد ليس أكثر صعوبة من الخلق الأوّل ﴿ ...إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

4. **شبهة استبعاد علم الله تعالى بكلّ الناس الأموات** والتمييز بينهم ومعرفة محسنهم ومسيئهم، ولكن يُردّ أنّ علم الله سبحانه ليس له حدود ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

أسئلة حول الدرس

1. كيف نجيب من يدّعي أنّ إعادة الإنسان أمر مستحيل بسبب استحالة إعادة المعدوم؟

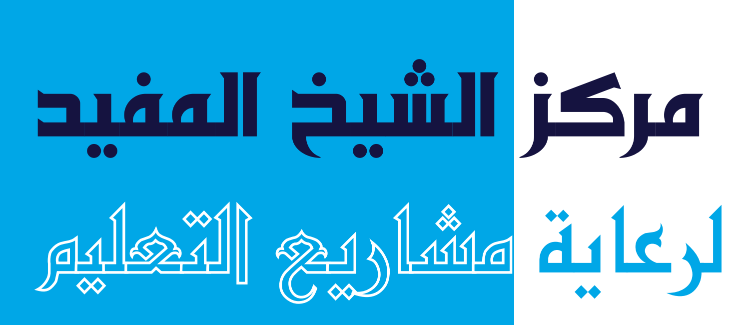
2. ما هو الجواب على من يدّعي عدم قابليّة البدن للحياة بعد الموت؛ بسبب عدم تحقّق شروط الحياة؟

3. أذكر بعض الآيات الدّالة على قدرته تعالى على إعادة الحياة بعد الموت.

---

(١)- ٢٠/ العنكبوت.

(٢)- ٧٩/ يس.


مركز الشيخ المفيد
لرعاية مشاريع التعليم

الشيخ المفيد